

عبدالله كنون

اسلام رائے

دارالكتاب اللبناني — دارالكتاب المصري
بيروت - لبنان القاهرة ٢٠٢٥

اسلام دائرہ

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

وصلی اللہ علی نبیہ الکریم

المقدمة

لم يستغن الحق قط على قوته وظهوره عن الدفاع عنه
وتجليته للناس. ولقد جاهد النبي (ص) ثلاثا وعشرين سنة
لارساء قواعد هذا الدين واعلاء كلمته، وهو مؤيد بالوحي
والبراهين الساطعة، اما نحن، وفي زمن الباطل، فاننا نعتقد
ان الحق سينتصر ويعلو من تلقاء نفسه وبدون جهد ولا
نضال . .

نلقى بابنائنا بيس ايدي معلمين جهلة باسسط احكام
الدين ، او من غير ملتنا، او ملاحدة متمردين على خالقهم
ورازقهم، ونشتكى من سوء تربيتهم وضعف ايمانهم .
ونترك جماهيرنا عرضة للاهواء وفريسة للادعياء ،
ونتعجب من انحرافهم وغلبة الشر عليهم .
ونولى امورنا اناسا تشبهوا بشقافة الغرب وملا الاعجاب

بحضارته المادية نفوسهم وقلوبهم، ونتساءل من اين اتانا
الفساد وغمرت مجتمعنا عوامل الانحلال والالحاد ؟

اننى اعتقد ان ما كتب وصور واذيع، دعاية لبعض
المذاهب التى شهدنا مولدها وموتها خلال اقل من عقدين من
السنين كالنازية والفاشية، اعظم بكثير مما دعونا به للاسلام
منذ نهضتنا الحديثة اى خلال نحو قرن من الزمن، وهو دعوة
صادقة، ودين عام خالد، ورسالة الهية لجميع البشر، هدفها
تحقيق السعادة والاخوة والسلام للبشرية جمعاء. فالعجب حقا،
من قيامهم بالباطل وقعودنا بالحق ! ..

ولقد اصبحنا من تفریطنا بحالة تدعو الى نفى ايدينا
من الدعوة الى هذا الحق بين الاجانب عنه، والاقتصار على دعوة
اهله والتبشير به بين ابنائه وذويه، حتى اذا راجعوا انفسهم
وعادوا الى صوابهم، حق لنا ان نفكر فى دعوة من ليس منه
ومن يعد اجنبيا عنه .

وقد وضعت هذا الكتيب وجعلته حجة فيما بينى وبين
الله عز وجل على تبليغ ما يجب تبليغه للشباب المسلم، والجماهير

المسلمة والحكام المسلمين، الذين لا المام لهم بالسياسة
الاسلامية، ونظام الحكم فى الاسلام، وحكمة التشريع الاسلامى،
حتى لا يبقوا حائرين بين النظم والمذاهب المستوردة، ايها اوفق
لهم واحق ان ياخذوا به، وعندهم الاسلام الذى لا يسد مفارهم
غيره ولا يطبّ لعلهم سواء ، لكنهم عنه معرضون ؛ وفيه
زاهدون :

كالعير فى البيداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

ولقد افتتحته بما يشبث الشاكين والمتذبذبين الذين
يظنون ان العصر ولى ذبره للاديان بما حققه من تقدم مدهش
فى العلم والتقنية، ثم الممت بعد بالمشاكل الرئيسية التى تمليها
الحضارة الغربية على ضعف النفوس، ولا يجدون لها حلا من
ثقافتهم الاسلامية المحدودة او المنعدمة أصلا، كالقومية والعالمية
والديموقراطية والاشتراكية وما الى ذلك، مبينا موقف الاسلام
منها وحلوله الناجعة لها ، متوخيا بساطة العرض ، وضرب
المثل من الاحوال المشاهدة ، والتركيز على القضية الاساس

وهى الرجوع الى الاسلام ، وتحكيمه فى الشاذة والفائدة
من واقع المسلمين واتخاذ القائد الرائد المتنوع المطاع ،
ورد الاعتبار اليه كدين، كعقيدة، كنظام، كقانون، كمنهاج
كامل للحياة، من غير تبعية ولا انقياد لغيره، ولا تغليف ولا
تغطية بما هو براء منه وضد عليه ..

وان لارجو ان ينفع الله به من قصدت نصحتهم بصدق
واخلاص، وانما الاعمال بالنيات، والله من وراء القصد .

هل أصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية ؟

لم يتعرض الدين اى دين كان، والدين الحق بالخصوص،
فى جميع العصور الماضية، لمثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر
من انكار وتشنيع، فمن وصفه بانه خرافة، وانه افيون الشعوب،
وانه ضد العلم وضد الحضارة - الى الازراء على اهله ورميهم باقبح
التهم كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية وما الى ذلك، هذا
على حين ان الاكثرية من الامم والشعوب ما تزال متمسكة
بعقيدتها الدينية، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات،
سواء كانت من اتباع الاديان السماوية او من منتحلي الاديان
الاخري حتى الوثنية منها، وذلك لان حاجة البشر الى الدين
كحاجتهم الى الطعام والشراب، فادا كان الجسم لابد له من
غذاء لاستكمال نموه وقوته والمحافظة على سلامته واستوائه ،
فان الروح التى بها يعد الانسان انسانا، اولى بما يقيم اودها
ويذكرى شعلتها، وليس هو الا الدين .

وانك لترى كثيرا من المسرفين على انفسهم فى ساعات
الحسرة والضيق والاضطرار، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع

اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب، بل انى لا أشك فى
ان اكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على
دفع، من خطر عظيم يتعرض له، أو داء عضال يصيبه، بله حادث
الموت اذ يستيقنه، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن
غلوائه، مما يدل على ان التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا
يمكنه ان يتخلص منها ولا ان يتخلى عنها وان انكرها احيانا
وتوهم انه يستطيع ان يعيش بدونها، ولنقرا على سبيل المثال
قوله تعالى فى شان فرعون: (فلما ادركه الغرق قال آمنت) ،
والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس، والتاريخ
المتداول، والنصوص الادبية، شعرية ونثرية، وصفية وذاتية ؛
كثيرة لانستطيع ان نلم بها هنا .

انما المشكل الذى تحار فيه الازهان، هو ان يكون هذا
مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى، فى الوقت الذى
تشن عليه الحرب التى لاهوادة فيها، ويقاوم بكل الوسائل ،
سواء فى البلاد التى اعلنت لادينتها بصراحة، او التى ما تزال
تدعى بانها متدينة رسميا .

والحقيقة ان المعركة ضد الدين، ليست معركة الامم والشعوب، وانما هي معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم واخذوا زمام السلطة فيها اما باستعمال القوة والعنف او بطريق المكر والخداع، فاستطاعوا ان ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد، وان ينشروا افكارهم التى تهدم دعائم المجتمع المتدين، لانه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية الحادية .

وبعبارة اخرى هي معركة الشيوعية والماسونية وغيرهما من الحركات المعروفة بمعاداتها للدين وطعنها فى مثله وقيمه ، وخصصت بالذكر هاتين الحركتين لانهما منتشرتان على نطاق عالمى، ولانهما بواسطة الاستيلاء على مقاليد الحكم بالنسبة الى الاولى، وتسخير الحكام بالنسبة الى الثانية، تعملان على بث سمومها ورفع راية الالحاد فى كل مكان من غير خجل ولا نكير، بخلاف باقى الحركات والمذاهب كالوجودية مثلا، فانها وان كانت تسهم بنصيب وافر فى نشر الالحاد بين الشباب والتحامل على الدين، الا ان ذلك انما يكون من طريق التلقين والفتنة .

وغير خاف ان وسائل الاعلام فى هذا العصر قد تعددت تعددا لم يعرف من قبل، وان فن الدعاية قد تقدم تقدما عظيما فى الثلاثين سنة الاخيرة، اى فيما بعد الحرب العالمية الثانية والذين يسيطرون على وسائل الاعلام ويوجهون الدعاية فى اكثر الدول، هم ممن يتعارض الدين مع مصالحهم الخاصة ونزواتهم الشخصية، فهم لذلك لا يدخرون وسعا فى التنديد به سرا وجهرا وبطرق مكشوفة ومستورة، هذا فى البلاد غير الشيوعية التى تسيطر عليها الماسونية وتنخر مجتمعا الفلسفات المادية الالحادية، واما فى البلاد الشيوعية فان الدعوة الى الالحاد ومعارضة الفكر الدينى هى سياسة الدولة وعليها تقوم فلسفة المذهب الشيوعى، ففى مثلها يقال من جاء على اصله فلا سؤال عليه. ويفهم من هذا ان البلاد الشيوعية ليست على دين حكامها، وان سياسة القمع والقهر هى التى تحول بينها وبين الاعلان عن شعورها الدينى وممارسة شعائر دينها، سواء كان هذا الدين اسلاما او مسيحية او بوذية، الا بقدر ما يسمح به الجهاز الحاكم فى بعض الاحيان وللبعض الناس قصد الدعاية والتضليل .

وهذه حقيقة لا شك فيها، علمناها من بعض الاخوان
الروسيين واليوغوسلافيين المسلمين ، ونتحققها بالنسبة الى
باقي الشعب الروسى المسيحى وغيره من الشعوب الخاضعة
للسيطرة الشيوعية ، بما قدمناه آنفا من كون التدين غريزة
انسانية مركوزة فى طبيعة البشر لا معدى لهم عنها لطهارة
ارواحهم وسمو انفسهم، وقد ناخذها من الاية الكريمة المعجزة
التي تقول (وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته) فهي
ان كانت صادقة على الكتابين الاحرار الذين لا يخضعون
لضغط ولا اكراه، فلان تصدق على الكتابين فى روسيا الحمراء
مثلا من باب اولى واخرى، وتكون مع ذلك من معجزات هذا
القرآن الحالد. والنتيجة ان الحملة على الدين، وزحزحة رجاله
عن مكان القيادة بسبب تلفيق التهم عليهم، هي خطة مدبرة من
حركات سياسية اهمها الشيوعية والماسونية ، تغرزها مذاهب
فلسفية كالوجودية، وليست مما يدل على ان طبيعة العصر
الحديث هي عدم التدين ، وان الدين اصبح ظاهرة هامشية لا
يلبث ان يتخلى عن مكانه لهذه المذاهب المادية والنزعات

الاحادية ، ونقولها للشباب المسلم خاصة ونحذره من الاغترار بما يراه ويسمعه من المظاهر الزائفة والضجة المصطنعة التي توهم السذج والقاصرين ان صبغة الدين قد وصلت غنى المجتمعات الراقية، وان التدين لم يبق له مجال فى عصر الصواريخ والاقمار الصناعية، ان ذلك كله انما هو من حرب الدعاية، وليس هو الواقع المعاش فى البلاد التى تصدر عنها تلك الاقوال وتلك المشاهد، ولنستعرض بعض الحوادث التى وقعت فى السنوات الاخيرة فى البلاد الاوربية والامريكية مما تنعكس عليه روح التدين المتغلغلة فى النفوس هناك .

فقد عقد فى ابريل 1967 بليما عاصمة جمهورية البيرو من جمهورية أمريكا الجنوبية، المؤتمر الخامس للأحزاب السياسية المسيحية باوربا وامريكا، واتخذ عدة قرارات فى السياسة العالمية، وانجلى اخيرا عن كارثة الطائرة التى كانت تقل عددا من وفود هذه الاحزاب كما ورد فى الانباء .
والاحزاب السياسية المسيحية فى اوربا وامريكا الجنوبية منشورة بكثرة ولها نفوذ قوى فى سياسة بلادها ، وهى الان

الحاكمة فى المانيا وايطاليا وما لا ندرى من دول أخرى ، فاذا كانت هذه منظمات سياسية فى بلاد راقية يضرب بها المثل فى التقدم والحضارة، لم تستنكف ان تنتمى للدين وان تجعل منه شعارا لها، فكيف يقال ان الدين قد تقلص ظله او كاد، واصبح ظاهرة هامشية فى العصر الحديث؟ ومما لا شك فيه ان المنظمات السياسية هى آخر ما ياتى فى تصنيف المنظمات التى تنتمى الى الدين كالمنظمات الاجتماعية المختلفة المهام والمنظمات التبشيرية التى نعرف كلنا نشاطها فى بلادنا فاحرى فى بلادها، وانما قصدنا ان نضرب المثل بالمنظمات السياسية للمفرورين من دعاة التقدمية عندنا الذين يعتبرون الدين من مظاهر الرجعية والتخلف ، ونقارن بين ما يجرى فى اوربا وامريكا وما يجرى عندنا . . فهذا مؤتمر الاحزاب السياسية المسيحية يعقد للمرة الخامسة بلا جلبة ولا ضوضاء، ونحن لما قامت الدعوة بيننا لعقد مؤتمر اسلامى للقمّة، كادت السماء تقع على الارض مما قوبلت به هذه الدعوة من تراشق بالتهمة وخصومة حادة بين المسلمين (I) .

(I) ولولا هزيمة 1967 النكراء لما عقد مؤتمر الرباط .

اما الاحزاب السياسية الدينية فلا نرى لها وجودا فى بلاد الاسلام ، اللهم الا ان يكون فى باكستان والهند لظروف خاصة .

وحادث آخر له مغزاه وهو انه لما تقرر ان تجرى مباراة فى الملاكمة بين البطل العالمى كلاى والبطل الانكليزى كولبير ، استدعت الملكة اليزابيت ملكة انكلترا كولبير هذا، واقامت له مأدبة غداء احتفاء به وتشجيعا له على منازلة كلاى، واعربت له عن رغبتها فى هزيمة خصمه، وما ذلك الا لان كلاى مسلم يحمل اسم محمد ويعتز بدينه ويرى ان انتصاراته فى معاركه الكاسحة انما هو من بركة الدين الاسلامى ومزاولته لشعائره وخاصة الصلاة بايمان واخلاص .

انه لم يسبق ان استدعت ملكة بريطانيا العظمى لتناول الغذاء على مائدتها فى مثل هذه المناسبة بطلا رياضيا مهما كان شأنه، وتعبّر له عن رغبتها فى انتصاره على خصمه، ولذلك فهم الناس من هذا الاهتمام ان شعورها الدينى كان غالبا عليها فى هذه الحالة، وانها انما تصرفت بحسب ايحائه، وهى معذورة فى ذلك وان كان املاها لم يتحقق .

لمن نسوق هذا المثل؟ للرؤساء ام للحكام ام للشباب؟
وكلهم احرياء ان يعتبروا بمغزاه وياخذوا منه درسا وتعلما؟.
وخبر من الفاتيكان ياتى فى هذه المدة، فيملئ على
المذبذبين موقفا فى الزعامة الروحية كيف تكون؟ وذلك لما
عزم كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتى اثناء جولته فى
اوربا على زيارة البابا، فقال ناطق بلسان هذا الاخير: ان
الحديث بين الرجلين سيدور على مسألة السلام العالمى وعلى
حالة الكنائس الكاثوليكية فى روسيا التى يهتم البابا بها
اهتماما خاصا.

وهذا الخبر غنى عن التعليق ، فان المجاملة السياسية
بين رجل الكنيسة ووزير خارجية الدولة اللادينية الاولى فى
العالم، لم تطف على شعور رجل الدين فتنسيه واجبه فى
الإطمئنان على مؤسسات رعاياه فى بلد السوفيات والتأكد من
سلامتها، ان هذا هو ما يقع فى الغرب، حيث العلم والحضارة
قد بلغا اوجهما، اما عندنا فى الشرق الاسلامى فان قادة الفكر
وزعماء الاصلاح يجهدون انفسهم فى ان يتلمسوا للشيوعية وما

اليها جذورا فى التعاليم الاسلاميه ويحرصون كل الحرص على
تلاقى الفكر الماركسى والاسلام .

اما السؤال عن حالة المسلمين فى الاتحاد السوفياتى
ومساجدهم ومدارسهم وأوقافهم، ومجابهة المسؤولين الروس
بذلك، فان الديبلوماسية الشرقية الاسلامية لا يمكن ان ترتكب
هذا الخطأ الذى يدل على عدم اللياقة.

والى هذا أحب ان اشير لما شاهدته مرارا فى بعض
بلاد اوربا كسويسرا وايطاليا من تجهيز غرف الفنادق بكتاب
الانجيل، وكنت لما وجدته اول مرة ظننت انه وضع خطأ فى
الغرفة التى نزلت بها، او ان احد المسافرين نسيه فيها، ثم
تكرر وجودى له مع دليل التليفون فى الغرفة التى انزلها من
كل فندق تقريبا، ورأيت ان بعض النسخ تكون مجلدة احسن
تجليد، مما يدل على عمق الشعور الدينى ويقوى الرغبة فى
القراءة او التصفح على الاقل عند النزيل .

فهذه ظاهرة أخرى من تدين الغربيين لا نظير لها عندنا
ولو فى فنادق مكة والمدينة، ابعد هذا يقال ان الدين اصبح

ظاهرة هامشية فى العصر الحديث لمناقضته لرقى العلم والحضارة العصرية ؟

نعم ان الدين فى البلاد الجاهلة كبلادنا، يعانى أزمة شديدة من حيث الجهل بمفاهيمه الصحيحة، ومن حيث اغترار شبابنا بما يقال عنه من افك وبهتان، ولكنه فى البلاد المتعلمة، على ما رأينا له من بسطة وسلطان، ولا يضيره هناك ما يوجه اليه من نقد وتهزىء، لان القوم قادرون على تمييز الصحيح من السقيم والغث من السمين ووجود طائفة من الملحدين وغير المومنين فى المجتمع الراقى معهود، كما كان فى البلاد الاسلامية على عهد الخلفاء العباسيين وفى العصر الذهبى للحضارة العربية، ولكنه لم يؤثر قليلا ولا كثيرا على وضعية الدين الاسلامى وسيادته والتمسك بعقيدته والحكم بشريعته، بل كانت تلك الطائفة دافعا قويا لقيام دراسات اسلامية عظيمة الاهمية فى تقضى المطاعن التى توجه للدين والتمكين لسلطانه من النفوس، ولذا فان تأثير المتسللين والعابثين بالقيم والاخلاق الدينية انما يخشى فى المجتمع المتخلف وعلى طبقة الشباب التى لم تحصن

بالتربية الاسلامية العالية ولم تزود بالمعلومات الصحيحة عن
سمو دينها وعبقريته التي لا يرقى اليها الشك ولا الخلاف .
وهذه هي معركة الدعاة الحقيقيين في العالم الاسلامى اليوم.

وهذه الحرب الصليبية التي يشنها الغرب على الاسلام ، ما دلالتها ؟

تلك هي قوة الدين في بلاد الغرب، أعني أوروبا وأمريكا ،
وقوة سيطرته الروحية على مشاعر القوم هناك ، من ملوك
ورؤساء، وسياسيين وعامة الشعب، مع العلم بان هذه البلاد هي
التي نشأت فيها الفلسفات المادية والمذاهب الالحادية، وهي
التي تحتضن الشيوعية والماسونية ، وهي التي اعلنت فصل
الدين عن السياسة، وهي التي تتزعم الدعاية ضد الدين على
النحو الذي ذكرناه آنفا، فلعل في ذلك ما يقنع المغلفين عندنا
الذين يعتقدون بلادينية الغرب، فيعلمون انها حديث خرافة
ودعوى باطلة، وانهم مخدوعون بما يسمعون أو يقرأون من تنكر
الغربيين للدين وقلة احتفالهم به، والا فلنحول انظارهم الى
ناحية أخرى مما يتجلى فيه بصورة اوضح شدة تمسك الغربيين
بدينهم وافراط تعصبهم له، وهي الناحية التي تتمثل في هذه
الحروب الصليبية الموجهة ضد الاسلام من بلاد الغرب بتصميم
جديد وتحد سافر، ولنتساءل واياهم: ما دلالتها والباعث

عليها، ان لم يكن الايمان المسيحي الذي ما يزال رائده هو
مراغمة النصرانية للاسلام ؟

ولا نوغل فى تاريخ هذه الحروب، ولو القريب منها الذى
كان يجمع كلمة الدول الاوربية المتفرقة على حرب الدولة
العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية، فلم يهدأ لهذه الدول
بال حتى وجدت فرصة الدهر فى انهزام العثمانيين فى الحرب
العالمية الاولى، فوجهت اليها الضربة القاضية التى اقتسمت بها
تركيتها وصفت حسابها معها، مما حمل الجنرال اللبى قائد
الحملة الانكليزية على مدينة القدس ان يقول عند دخوله لهذه
المدينة: « الآن انتهت الحرب الصليبية ! »

اذن فلنبدا بما جد من الحوادث بعد هذه النهاية المزعومة
للحرب الصليبية، ففيه او فى بعضه فقط الكفاية ! ولتكن قضية
فلسطين هى نقطة البدء :

ان هذه القضية من اعظم القضايا التى يتمثل فيها عدوان
الدول الغربية على الاسلام، ولاسيما دول الثالث الاستعماري
بريطانيا وامريكا وفرنسا .

كان الذى تولى كبرها واجترم اثمها أولا هى الحكومة
البريطانية التى وعدت اليهود على لسان وزير خارجيتها
« بلفور » أثناء الحرب العالمية الاولى ، بالمساعدة
على انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، وحرصت
أشد الحرص على الوفاء بهذا الوعد مدة انتدابها
على ذلك الجزء من الوطن العربى الكبير ، فلم تدخر
، سعا فى تسهيل الهجرة اليهودية اليه ، والتمكين لهذا العنصر
الدخيل فيه ، حتى أصبح يكاثر اهله ويسيطر على مقدراته . ثم
عملت على تدويل القضية الفلسطينية فى أعقاب الحرب العالمية
الثانية ، واشتركت معها فى تحمل مسؤولية هذا الظلم الصارخ
حليفها امريكا التى تبنت القضية فى الامم المتحدة ومارست كل
انواع الضغط على الدول الصغيرة حتى صدر قرار تقسيم فلسطين
بين اليهود والعرب ، ذلك القرار الجائر الذى قضى بتشريد
أكثر من مليون عربى وتسليم أرضهم وديارهم وممتلكاتهم لليهود
الدخلاء ، ولما هب العرب الى الدفاع عن وطنهم السليب ، وقفت
الامم المتحدة بتحريض من امريكا فى وجههم والزمتهم بمهادنة

اليهود، ثم كان ان التزمت كل من امريكا وبريطانيا وفرنسا بحماية دويلة اسرائيل ومحاربة كل من يحاربها، أى انها اقرت الغضب ومنعت صاحب الحق من المطالبة بحقه .

وقضية فلسطين ليست قضية العرب وحدهم حتى يقال ما لها وللإسلام؟ بل انها قضية المسلمين قاطبة، والعرب لم يكن دورهم الا دور الم رابط في تلك الارض المقدسة التى كان اليها مسرى النبي صلى الله عليه وسلم وكان منها معراجة، وهى أولى القبلتين، وفيها المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله، فلا فرق بينها وبين مكة والمدينة فى كونها جميعا مدنا اسلامية يعتبر العدوان عليها عدوانا على كل مسلم اينما كان والى أى جنس انتمى، لانها فى الحقيقة هى وطنه الروحى الذى ورد فيه الحديث المشهور « حب الوطن من الايمان » (I).

(I) ذكر ابو سالم العياشى فى رحلته عن بعض مشايخه ان المدينة هى وطن كل مومن، وانها المراد بالحديث، ونحن نرى تعميم هذا الحكم على المدن الثلاث المقدسة التى تشتمل على المساجد الثلاثة التى لا يشد المسلم الرحلة الا اليها .

ولا اضل ممن يجعل هذه القضية قضية عربية، ويحصر
الخصومة فيها بين العرب واليهود، مع ان القوى التى تساندها
قوى مسيحية، والتحدى فيها موجه لشعوب الاسلام كافة لا
لخصوص العرب، غاية الامر ان الصهيونيين خلفوا الصليبيين ،
وكما كانت الدول النصرانية بالامس تقف صفا واحدا من وراء
الصليبيين فى غزوهم لفلسطين، فكذلك هى اليوم تقف من وراء
الصهيونيين تمدهم بالمال والعتاد الحربى وتصرح بحمايتهم
من كل خطر ايا كان مصدره !

ولما نضب معين المساعدة المالية الامريكية لاسرائيل او
كاد ينضب، ضغط الامريكان على حكومة الجمهورية الفدرالية
الالمانية فحملوها على دفع تعويضات مالية عظيمة بحكم ما تتمتع
به من غنى واسع، الى دويلة العصابات، لقاء ما خضع له اليهود
من اضطهاد أيام الحكم النازى، وتسببوا بذلك فى تأريث العداوة
بين الشعب الالمانى والشعوب الاسلامية التى كانت علاقتها
بالمانيا من عهد العثمانيين علاقة حسنة .

بل انهم حاولوا ان يجرؤوا الاتحاد السوفياتى الى الانضمام

لصف الدول الملتزمة بحماية اسرائيل، حتى وقع العدوان الصهيونى الاخير على الدول العربية، ذلك العدوان الوحشى الذى مهد له الامريكان والانكليز بتهديدهم للعرب واسنادهم لدولة الصهاينة، فلم يبق خفيا على أحد انها حرب صليبية جديدة تتستر خلف العصابات الاسرائيلية، لاسيما وقد نهى للمشاركة فيها متطوعون من امريكا وبريطانيا وفرنسا، وكشف الغيب ان العتاد الحربى والعدد الجهنمية التى أمدت الدول الغربية المذكورة بها اسرائيل وبخاصة الطائرات، هو فوق ما يتصور واكثر بثلاثة اضعاف مما كان فى حساب العرب، وهذا مع تجنيد الرأى العام الدولى والصحافة وشركات الانباء وسائر وسائل الاعلام العالمية ضد العرب، والوقوف بوجههم فى منظمة الامم المتحدة، كأنهم هم المعتدون، وكان خرق قوانين المنظمة كان من جهتهم .

ولولا مناصرة الاتحاد السوفياتى وبعض دول الحياض الايجابى والمعسكر الاشتراكى ، لكان الامريكان وحلفاؤهم حكموا على العرب بالانسحاب مما بقى بأيديهم من الارض

العربية ودفع التعويضات لاسرائيل، (I) لان حقد الصليبيين على الاسلام لا يرضيه الا أن يمرغ جباه المسلمين فى التراب أمام أنذل العصابات. حتى البابا الذى كان حريانا ان يمثل التسامح المسيحى او على الاقل ان يراعى خواطر رعاياه من مسيحيى العرب، لم يستنكف ان يغتنم فرصة هزيمة الدول العربية المحاربة واحتلال اسرائيل لمدينة القدس، لينادى بتدويل هذه المدينة، ولكنه عاد، بعد اتصال اليهود بالفاتيكان ومساومته باعطائه حق الرقابة على الاماكن المسيحية المقدسة هناك ، فصرح بعدم معارضته لاستيلاء اسرائيل على القدس وحكمها لها. فهل هذا كله لا يكفى لاقتناع من يرى ان القضية الفلسطينية قضية عربية اكثر منها اسلامية، وان الحرب التى تشن على العرب من اجلها ليست حربا صليبية جديدة؟!

وقضايا جنوب السودان ونيجريا والصومال وارترىا

(I) يستثنى فى هذه المرة موقف فرنسا الذى كان مع الحق والذى يرجع الفضل فيه لرئيسها الجنرال دو كول لاغير ، بسبب سياسته الرامية الى خلع ربة التبعية لامريكا وبريطانيا.

والحبشة وقبرص كلها قضايا شبيهة بقضية فلسطين، انما خلقها
تعصب النصرانية على الاسلام، وتربص الصليبيين بالمسلمين
للايقاع بهم وعرقلة نهضتهم .. فايقاف السودان لنشاط المبشرين
الذى جاوز كل الحدود فى جنوب بلاده، أدى الى اشعال نار
الحرب والمطالبة بانفصال هذا الجزء من الوطن السودانى نتيجة
لتدخل الدول الاستعمارية من امريكان وغيرهم ، ومساندتها
للشوار ماديا وادبيا، الامر الذى كان زنوج امريكا اولى به من
المبشرين الاجانب فى السودان. فان هؤلاء لم يحق بهم من
الظلم والحيف وفضائح التمييز العنصرى ما يحق باولئك ،
وغاية الامر ان الدولة لما رأت تصرفاتهم تكاد تؤدى الى قيام
حكم اجنبى يتحدى الحكم الوطنى، ضربت على أيديهم، فقامت
قيامه حماتهم ودبرت تلك الثورة الرعناء .

وفى نيجيريا كان كافيا للاطاحة بحكامها المسلمين وبث
الفتنة فى شعبها الآمن ان يعلن أولئك الحكام عن شعورهم
الاسلامى ويستنكروا اقامة دولة العصابات فى قلب العالم العربى،
وقد صارت بفعل الدسائس الاستعمارية الصليبية والصهيونية

فريسة الفوضى وضحية الحقد لكونها اكبر دولة اسلامية
فى افريقيا من حيث عدد سكانها المسلمين الذين يناهزون
خمسين مليوناً، فلم يقنع خصوم الاسلام بما اجترموا فيها من
آثام حتى صاروا يعملون على تقطيع اوصالها وتقسيمها الى
دويلات صغيرة يسهل القضاء عليها والتحكم فيها كلما قضت
المصالح الاستعمارية بذلك . ولولا الموقف الحازم الذى وقفه
رئيسها فى وجه المتآمرين لبلغ الخصوم مناهم .

ولم لا يقسمون الحبشة، والحال ان المسلمين فيها اكثر
من المسيحيين وما يعانونه من اضطهاد دينى وحرمان من ابسط
الحقوق الدينية، يخول لهم بكل وجه أن يطالبوا بقيام دولة
حبشية مسلمة منفصلة عن دولة اديس ابابا المسيحية المتعصبة،
وعلى الاقل أن يتمتعوا بامتيازات سياسية نظير ما للمسيحيين
فى البلاد العربية والاسلامية عموماً ؟!

ان الحبشة المدللة التى تحصل على اعظم حصة من
المساعدة الامريكية للدول النامية فى افريقيا تحمل شعار
الصليب ، ويعلق عليها الامل فى اكتساح الشعوب الصغيرة

المسلمة التي بجوارها وضمهم الى الاسرة المسيحية ، ولذا فان شعب ارتيريا المسلم ما كاد يحصل على حق تقرير مصيره من الامم المتحدة، حتى رأينا الحبشة تستتبعه بحكم تزوير عملية التصويت التي اشرفت عليها بريطانيا قبل الانسحاب من ذلك القطر. وكذلك يقال في الصومال الذي اقتطعت اطراف منه واضيفت الى الحبشة والى كينيا، نكاية به، لانه شعب مسلم، وينتمى الى العروبة .

والمؤامرة التي دبرها الاستعمار على قطر جيبوتي منذ مدة قريبة يعرفها الجميع ، فان هذه المقاطعة من الصومال ، ما كادت فرنسا تعترف لها بحق تقرير المصير، حتى هبت الحبشة للمطالبة بها متذرعة بانها متفذهها الى البحر وان مصالحها فيها تخول لها حق الاشراف عليها ، وقام الامبراطور هيلاسلاسى برحلة طويلة الى البلاد العربية، نعم (ويا للوقاحة) الى البلاد العربية طمعا في الحصول على تاييدها، والى فرنسا مرارا، مما اضطر بعض الاحزاب السياسية في جيبوتي لما رأى خطر الاستيلاء الحبشى قد فغر فاه لابتلاعها، ان يصوت لصالح البقاء في حضيرة الوحدة الفرنسية .

ان الحبشة مدفوعة ولا شك من طرف الدول الاستعمارية
الصليبية للعب دور خطير فى القارة الافريقية، فهى تنفذه بكل
دقة، مستعينة بالدعم المادى الاوفر الذى تلقاه من تلك الدول ،
ومستغلة حسن نية الدول العربية والاسلامية الافريقية ،
وسياسة التسامح التى تسلكها هذه الدول، والامر يهدف الى
مناهضة الاسلام وانتشاره السريع فى هذه القارة التى لا يريد
لها الصليبيون المتعصبون أن تصبح قارة اسلامية خالصة. فاذا
كانت آسيا على وجود اكبر الدول الاسلامية فيها لا تعتبر قارة
اسلامية بسبب مكاثرة الديانات الاخرى من بوذية وهندوسية
فيها للدين الاسلامى، وأوروبا وامريكا لا جدال فى انها قارتان
مسيحيتان، فان القارة المرشحة لان تكون قارة اسلامية هى
افريقيا التى يعتنق الاسلام فيها اكثر من ثلثى سكانها، ولا
يزال الاسلام يتقدم فيها بخطى ثابتة لادخال الثلث الباقى من
سكانها الوثنيين فى حظيرته... اذا كان هذا الامر حقيقة ثابتة
فيجب ان يوضع فى طريقه كل العراقيل ويقاوم بجميع
وسائل المقاومة .

وليس من ينتدب للقيام بهذه المهمة غير الحبشة التى
تعد رسميا دولة مسيحية، وهى عريقة فى ذلك ليست مثل بعض
الدول الناشئة التى فرضت عليها حكومات او رؤساء مسيحيون
والتى هى من صنع الاستعمار، فان الافارقة لا يمكن ان يخضعوا
لها ولا ان يولوها ثقتهم. وهكذا وضعت الحبشة على رأس منظمة
الوحدة الافريقية وجعلت عاصمتها اديس ابابا مقر هذه المنظمة
لتعزيز السيطرة والنفوذ، تماما كما فى جعل مقر الامم المتحدة
بامريكا التى اصبحت تسيطر عليها وتتحكم فى مقرراتها على ما
هو مشاهد، حتى ان ذلك ليدعو بعض الدول المتحررة الى
المطالبة بنقل هذا المقر الى دولة محايدة

والمقصود على كل حال ان يرى الافارقة ان السيطرة
والنفوذ مقصوران على الدول المسيحية، وانهم ان خرجوا من
حصار الاستعمار، فلا مندوحة لهم من البقاء فى قبضة المسيحيين
اهل النفوذ والسيطرة على العالم. وليس ادل على هذه الحقيقة
من موقف الحبشة من حرب العدوان الصهيونى على البلاد العربية،
بل موقف المنظمة الافريقية من اساسها وكثير من الدول

الافريقية التى انصاعت للتأثير الاستعماري الصليبي الصهيوني فلم تحرك ساكنا ولا استنكرت بقول أو فعل هذا العدوان الذى استنكره معظم الدول المتحررة فى العالم، والتى ليس بينها وبين الدول العربية ما بين الحبشة والمنظمة الافريقية وافريقيا عموما من الروابط والعلاقات .

هذا بعض ما يمكن ان يقال فى قضايا ارتيريا والصومال والحبشة ومخططات الاستعمار والصليبية بازاء مسلميها .

واما قبرص فان الحرب الابدائية التى يقوم بها المسيحيون اليونان هناك ضد الاثراك المسلمين، الذين هم من اقدم سكانها والذين كانوا حكامها فيما سبق، ان هذه الحرب يناصرها كل من دول الشرق والغرب المسيحية، ويتضامن فيها ويا للأسف بعض الدول الاسلامية مع المسيحيين وبقطع النظر عن هذا التضامن، فان الغاية من تلك الحرب معروفة، وهى القضاء على العنصر الاسلامي فى الجزيرة بابادته او باضطراذه الى الهجرة حتى تبقى الجزيرة خالصة للمسيحيين، وللأسقف مكاريوس الذى يقوم بدور الكاردينال سيسنيروس المعروف فى حرب الابداء الاسبانية لمسلمى الاندلس .

فكيف يرى شبابنا ومفكرونا الذين يستبعدون الدين من سياسة البلاد الاسلامية، ويرون ان الدين لم يبق عاملا سياسيا في تكوين القوميات وبناء الشعوب، وانه ان بقى له وجود فعلى الهامش كظاهرة اجتماعية ضعيفة التأثير فى حياة الامة وكيانها، وهى مع ذلك فى طريق التلاشى والانقراض ؟!

هل هذا الرأى عندهم مستمد من فلسفة خاصة او من واقع المسلمين فقط؟ واذن فلينشروا هذه الفلسفة فى البلاد الغربية المتعصبة لمسيحياتها بهذا الشكل الذى رايناه، عساهم يقنعون اهلها برايههم فيريحوننا من تمالثهم علينا، او فليقولوا ان الدين انما هو ظاهرة هامشية فى البلاد المتخلفة لا فى البلاد الراقية !

الاسلام أتي بكل المقومات الذاتية للشعوب

حضرت في الحلقة الخامسة للدراسات الأندلسية الإسلامية التي عقدت بمدينة مالقة في شهر دجنبر متم سنة 1966 واستمرت أسبوعا كاملا، وشارك فيها كالعادة باحثون أوروبيون وشرقيون بالإضافة إلى الباحثين الإسبان أصحاب البلاد .
والذي يهم ذكره هنا من وقائع الحلقة أنه أقيمت عدة حفلات لتكريم العلماء والاساتذة الذين حضروها وكان من جملتها حفلة محافظ المدينة التي امتازت بخطاب ترحيبي رائع ألقاه المحافظ وإليه يساق الكلام:

حيى المحافظ الباحثين المشاركين في الحلقة ونوه بعملهم الذي يكشف النقاب عن حضارة الأندلس وتراثها الفكري، وحياتها في ظل الاسلام طوال ثمانية قرون، كانت خلالها مركز اشعاع وموطن علم وفن وثقافة تستمد منه القارة الأوروبية كلها.
وقال ان الاسلام الذي كان دين أجدادنا في هذه الفترة الطويلة من الزمن، هو باعث تلك النهضة ونافع روح الجهد والعمل في بلادنا التي كانت قبل دخوله اليها تغط في نوم عميق .

ثم قال ولا على اذا قلت كلمة انصاف فى الدين الاسلامى،
وأنا المسيحى المخلص لدينه، فلن يتهمنى أحد فى عقيدتى وايمانى.
اننى بحبى للاطلاع، وحرصى على المعرفة قرأت القرآن
كتاب الاسلام المقدس، ودرست سيرة النبى محمد (ص)
ويمكننى أن أقول: ان الاسلام كدين كبير أتى بكل العناصر
التي لا يكون الدين كاملا بدونها انه يحتوى على عقيدة سامية
فى الاله العلى القدير، تتمثل فى شعاره القائل لا اله الا الله،
ولا غالب الا الله وهى أساس التدين فى الاسلام. ويأتى بعدها
الأمر بالصلاة التى هى فى نظر الاسلام الصلة الروحية بين
الانسان والخالق عز وجل، وبعد الصلاة الزكاة وهى صدقة واجبة
على المسلم الغنى لأخيه الفقير. ومع الصلاة والزكاة الصيام،
وهو عبادة يراد منها التحكم فى مجموع النفس وتحقيق الصفاء
الروحي، والقاعدة الخامسة فى الاسلام هى الحج، والأديان
كلها لها مكان مقدس يقصده المؤمنون للتطهر من الرجس والآثام.
وزاد المحافظ بعد هذا الكلام قائلا: أى سمو كهذا. وهل كان
التدين فى وقت من الأوقات خاليا من هذه الشعائر كلها .

ان محافظ مالقة الذى فاه بهذه الكلمات الذهبية فى حق الاسلام، كان شابا فى نحو الأربعين سنة من عمره وهو دكتور فى الطب، واسع الثقافة، وخطيب بليغ. وقد أصغى اليه كل الحاضرين وفيهم مدعوون من طبقات مختلفة من المدينة، وفرق فولكلورية وموسيقية من الجنسين فضلا عن الوفود المحتفل بها، فلم ينكر عليه أحد شيئا مما قال، بل هنأه الكثير من الحاضرين على خطابه القيم، وبالطبع فانه لم يكن يقصد الى ترَضُّينا نحن المسلمين الذين كنا هناك فان أحدا لا يرضى غيره على حساب دينه. وزيادة على ذلك فاننا لم نكن الا ثلاثة أفراد: الدكتور حسين مؤنس والأستاذ محمد عبد الله عنان وأنا، فلماذا يترضانا ونحن أقلية فى ذلك الجمع الكبير .

والحقيقة أن ما قاله المحافظ بشأن قواعد الاسلام الخمس، هو نظرة تحليلية لهذه القواعد وبيان لغزاها السامى الذى يرضى النزعة الفطرية فى الانسان الى التدين، ويجعله مطمئن القلب، طيب النفس لا يشعر بقلق روحى ولا بظما حياتى فى حاله وماله، وقيمة هذه النظرة أنها أتت من أجنبى يدين بغير

الاسلام، وهو فى الوقت شخصية مثقفة، ومن رجال السلطة فى بلد من هذه القارة التى يعترف لها الجميع بالرقى والتقدم ، فهى شهادة للدين بعامة وللإسلام بخاصة، نقدمها الى شبابنا الحائر ومثقفينا المنحرفين عن الدين، المحتجين بأوروبا والغرب والتقدمية وعصر العلم. لم نقلها نحن وانما قالها رجل من الصنف الذى يكبر فى أعينهم، والىلاد التى تستأثر باعجابهم .

وهى بعد شهادة تتعلق بما قل أن يهتم به الأجانب عن هذا الدين من شعائره ورسوم عباداته التى يهملها الكثيرون ولا يرون لها أهمية ان اعطوا لغيرها من تشريعاته ومبادئه العامة بعض الأهمية. فقد كثر كلام الأجانب عن الثورة التى أحدثها الإسلام فى الأفكار والمجتمع، وما قرر من حقوق الإنسان ورفع من شأن المرأة، وشرع من قوانين للأمم والأفراد، وأنقذ العالم مما كان يتخبط فيه من ظلام الجهل والعبودية .. ولكنهم لم يتكلموا الا نادرا عن الواجبات الدينية، والأعمال التعبدية فى الإسلام كما تكلم عنها محافظ مالقة ونوه بها فى حماس واكبار. فليس من الرجعية اذن أن ندعو الشباب المسلم الى

التمسك بشعائر دينه، وأهمها الصلاة التى تأتى بعد العقيدة مباشرة. فنحّته على أدائها بإيمان وخشوع، ونهمس فى أذنه بأن الدين كما قال هذا الأجنبى لا يكون بدون صلاة. وقال النبى (ص) بين الايمان والكفر ترك الصلاة .

وليس من التخلف أن نتمسك بتشريع الاسلام الذى فكر قبل أربعة عشر قرنا فى حل مشكلة الفقر بفرض الزكاة، وجعلها واجبا عينيا على الأغنياء يزاحم فرض الصلاة ووجوبها، فضلا عما سنه فى هذا الصدد من أحكام أخرى لم يعرفها هذا الأجنبى أو لم يذكرها اكتفاء بذكر الزكاة .

وليس من الجمود أن نصوم ونعتبر شهر رمضان فرصة للتطهير والاستجمام والرياضة الروحية كما قال هذا الأجنبى، وهو الطبيب العارف بما فى الصيام من منافع صحية الى فضائله الدينية، لا أن نتسخطه ونرفضه كما فعل بعض رؤساء المسلمين مع الأسف، تعللا بأنه يضعف الطاقة البشرية ويقلل الانتاج . ولو رافقنا التاريخ لوجدنا أن أعظم الأعمال وأهم الفتوح التى قام بها المسلمون انما كانت فى هذا الشهر المبارك .

وليس من التأخر أن يحج المسلم بيت الله الحرام ،
ويطوف بالكعبة المشرفة، التي هي من بناء أبي الأنبياء إبراهيم
عليه السلام، ويؤدي المناسك ويقف في عرفات ضاحياً لله عز
وجل، متعرضاً لنفحاته متأثراً خطى أنبياء الله ورسله، في
تلك البقاع المقدسة، التي تحتفظ بذكريات عزيزة وجليلة ،
مر عليها آلاف السنين، وهي ما تزال توحى بمعان من السمو
والطهر النفسى لا يرغب عنها الا المحروم. اما قال هذا الاجنيبي،
ان لكل الأديان مكانا مقدسا يحجه أتباعه، ومصدق ذلك قوله
تعالى ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه. وهكذا ينجلي الشك
عن مقاصد الاسلام فى عباداته بتزكية رجل ليس من أهله ،
ولا يمكن أن يتهم بالغرض أو التعصب، لأنه مدح ولم يذم،
ولأنه مسيحي وليس بمسلم، ولهذا اهتملنا بكلامه وقدمناه فى
معرض الحجة على قصر نظر الذين يقولون ان الدين لم يبق
فيه غناء للشعوب، وأن هذه الرسوم التعبدية بالخصوص قد
فاتها الركب ولم تعد تؤدي مهمة فى حياة الإنسان. فالى
المختارين من شبابنا ومثقفينا بهذه الحملة على الدين ، نوجهها

كلمة صادقة مخلصه تبصرهم بالحقيقة فى أمر الدين على العموم،
وفى دين الاسلام وشعائره على القصد والتعيين .

ولان صاحبنا انما اقتصر فى التنويه بالاسلام على قواعده
الخمسة، تأثرا بمفهوم الدين عند المسيحيين الذين يقصرونه على
العقيدة والطقوس التعبدية. والا فنحن نعلم أن عبقرية الاسلام،
أعظم ما تظهر فيما أتى به من نظام شامل للحياة، وأصول الحكم
وقوانين المعاملات، ودستور الأخلاق والحقوق الدولية وبناء
المجتمع الانسانى على أساس الاحترام المتبادل، والتعايش السلمى
بين الأفراد والجماعات والشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها
ومعتقداتها. فلم يقم فى ظل دولة غير دولة الاسلام نظام نعيم
فيه بالحياة الكريمة أهل المشرق والمغرب معا، من غير أن ينشب
بينهم نزاع طبقي أو خلاف مذهبى أو عداة دينى او تمييز
عنصرى يكدر عيشهم، ويهدد أمنهم، ويحيل راحتهم وإطمئنانهم
الى قلق وخوف دائمين ، كما هو الحال فى أرقى الأنظمة
السياسية فى الدول المتحضرة اليوم .

هذه بلاد من أعظم بلاد التمدن الحديث، يقتل البيض

فيها السود ويصطادونهم كما يصطادون الحيوانات العجماء ،
وفى أجسن الأحوال يعاملونهم معاملة المنبوذين، فيعزلونهم
عن مجتمعاتهم وأنديتهم ومدارسهم ، ولا يقبلون أن يتزوج
احدهم بامرأة منهم، وإذا وقع وتجاوز أحد السود بل احد
الملونين حدا من هذه الحدود، تعرض هو وقبيله لأشد أنواع
العنف وأقسى وسائل البطش، وكانت تلك فرصة القمع والتنكيل
بالملونين من قبل رجال الأمن واصدار الأحكام الجائرة عليهم
من طرف رجال القضاء فأين هذا من شرع الاسلام الذى أهدر
كل الفوارق بين بنى الانسان ، ولم يقم لأحد قيمة الا تقوى
الله، أى خوفه والوقوف عند أوامره ونواهيه، مما يحيى ضميره
ويجعله مثال العدل والاستقامة، كما قال تعالى (يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ،
ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وشدد النبي (ص) على هذا المعنى
فصرح بمضمون الآية الكريمة فى قوله (لا فضل لعربى على
عجمى ولا لأحمر على أسود الا بتقوى الله) ..

أين تأتى هذه الحضارة المزعومة التى تبيد المواطنين

لا لجرم الا لمجرد أنهم ملونون. من حضارة الاسلام التى احتضنت
الابيض والأسود والأحمر والأصفر، واليهودى والنصرانى
والمجوسى والصابىء وسائر الملل والنحل والأجناس، وكفلت
لهم حرياتهم العامة، وحمت كنائسهم وبيعتهم ومعابدهم، وفوضت
لهم فى حكم أنفسهم بشرائعهم الخاصة فى الأحوال الشخصية،
وفتحت فى وجوههم أبواب المعاملات التجارية والمالية على
مصاريعها حتى تمولوا وتأثّلوا الأصول والعقار، وسمحت لهم
بالتوظيف فى مصالح الدولة، وأرسلت منهم السفراء والرسل
الى البلاد الأجنبية، وضربت أروع الأمثلة فى التعايش السلمى
فعلا قبل عدة قرون لا قولا كما يتبجح به المتبجحون اليوم.

أى سبة وعار لحضارة الصواريخ والأقمار أخزى وألعن
من هذا التمييز العنصرى الذى يحتقر الانسان ويعامله بأشنع
المعاملة. لكونه لا يتمتع بجلده أبيض، ولو كان من أهل البلاد
الأصليين أو لأن لونه ليس على لون السيد الغربى القادم من
أروبا بل على لون الآسيويين والأفارقة .

فلنقارن ذلك بما أعلى الاسلام لبلال من قدر، وقول عمر

ابن الخطاب وهو وجود بنفسه؛ لو كان سالم مولى أبى حذيفة
حيا لعهدت له بالخلافة، لنعرف فرق ما بين حضارتهم وحضارة
الاسلام التى لا تطل.

ومثالان آخران :

(أحدهما) هذه الحروب الجهنمية التى تشن على الأبرياء
والضعفاء وتقتل النساء والأطفال، وتهدم البيوت على السكان،
وتحرق المدنيين بقنابل النابالم، بغيا وعدوانا على الناس، لأنهم
يأخذون بسياسة أو مذهب لا يوافق المغيرين .

(ثانيهما) هذا التضامن مع المعتدين من الصهيونيين
المجرمين والاسناد لهم ومدهم بالمعونة المادية والأدبية ، مع
العلم بأنهم غاصبون مترامون أخرجوا العرب من ديارهم وأموالهم،
واستولوا على أرضهم ووطنهم بالمكر والخداع، ثم بالحديد والنار.

ان حضارة هذه سياستها وهذا سلوكها لهى أخرى ان
تسمى وحيثية وجادية، وأن تتسرا منها الانسانية ويستعاذ بالله
منها. فاین هذا من مبدأ حرية العقيدة المقدسة فى الاسلام، والمعبر
عنه بهذه الآية الغذة (لا اكراه فى الدين) وبالإمة الأخرى التى

تستنكر اكره الناس على الايمان وهى قوله تعالى (افانت تنكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين).

وأين هذا من شريعة الاسلام التى تمنع التواطؤ مع
المعتدين، بل توجب العمل على كفهم عن عدوانهم ولو بقتالهم كما
قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ،
فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى
أمر الله، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأفسظوا ان الله
يحب المقسطين) ويقول النبى (ص) مؤكدا على هذا الأمر (انصر
أخاك ظالما أو مظلوما، قيل كيف انصره اذا كان ظالما. قال
تكفه عن ظلمه).

ان اعتداء كاعتداء السهائية على فلسطين، لو وقع على
سنويسرا مثلا، أو على المكسيك لكان علينا معشر المسلمين أن
تنكره ونعمل على معه ان قدرنا على ذلك. فليس هذا الأمر خاصا
بما ينشأ بين طوائف المؤمنين بدليل الآية الأخرى (ولولا دفاع
الله الناس بعضهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره، ان الله لقوى

عزيز) وبذلك جعل الله عز وجل المسلمين خير أمة أخرجت للناس لا لكونهم مسلمين فحسب وانما لانتصارهم للحق وتعاونهم على البر والتقوى. قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

نعم وأين حربهم من حرب الاسلام البرحيمة التي تمنع أن يقتل صبي أو امرأة أو شيخ أو راهب، وأن يقطع شجرة أو يحرق زرع، وأن يمثل بقتيل أو يجهز على جريح. حتى لقد قال الدكتور جوستاف لوبون الفرنسي صاحب كتاب حضارة العرب: «لم يعرف العالم فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب» وحتى اننا نستطيع أن نقول استنادا الى الحديث الشريف (لا يعذب بالنار الا خالقها) ان الحرب بالنار في جميع أشكالها محرمة في الاسلام؛ ولولا أن العدو يحاربنا بها لم يجز لنا أن نحارب بها. وظاهرة عجيبة في تاريخنا الطويل، هي أننا دائما كنا نشترى السلاح من الافرنج ولا نصنع منه حتى كفايتنا ولا نزال نشتره منهم الى الآن. وقضية ذلك أن روحنا السلمية، برغم كوننا مهددين منهم باستمرار، لا تسمح لنا بصنع أدوات الفتك

والتدمير والحراب، لأن رسالتنا رسالة عطف ورفق واحسان،
لا رسالة قتل وسحق ومحق، وهى مظهر الخطاب الالهى للرسول
الكريم (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فلا نستطيع أن نهيد
عنها، ولا ان نتنكر لها، وقد أشربناها فى قلوبنا وجرت مجرى
الدم فى عروقنا، ونحن نرى أن لا حياة للبشر ولا سلم على
الأرض الا بالأخذ بها واتباع تعاليمها . فان فيها كل المقومات
الذاتية للشعوب التى تجعلها تعيش فى أمن وسلام مع المحافظة
على كيائها ومظاهر استقلالها، والى الآن لم يظهر أى مذهب
أو نظام لا تكون غايته استغلال الشعوب، وتحطيم سيادتها
بوسيلة ظاهرة أو خفية، فمن الزور والخداع مقارنة هذه
المذاهب والنظم بالاسلام وشرعه الحنيف .

الإسلام والقوميّات

طغت فى هذا العصر الدعوات التى تصد عن سبيل الله، وهو وحده سبيل الالتقاء بين اجناس البشر . والدعوات التى تفرق بين الشعوب والامم، وهم احوج ما يكون الى الاجتماع والائتلاف. ومن اعظمها أثرا فى النفوس، واكثرها ضررا على المجتمع الانسانى، هذه النزعات القومية التى شاعت وذاعت عند الغربيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتسببت فى كثير من المآسى والحروب لدول اوروبا وامريكا، ثم ذر قرنها فى البلاد الاسلامية والعربية مع مطلع هذا القرن الذى نعيش فيه، وكانت هى العلة فى تشتيت كلمة اهلها وتفتيت وحدتهم ، الامر الذى جراً عليهم ارذل القوم، ومكن لخصومهم من التحكم فيهم حتى بعد استقلالهم .

ولعل بعض الناس يتساءل: هل الاسلام ضد القوميات المختلفة بالطبع، أو هو يؤيدها ولا يعارضها ؟

ان الوعى القومى فى العصر الحديث قد تغلغل فى نفوس الافراد والجماعات من كل شعب وقبيل، بحيث يصعب اقتلاع

جذوره لتعميق الشعور الاسلامى واحلاله محله، فما هو موقف
الاسلام اذن من هذه المعضلة؟ او ما هو الاتجاه السليم بازاء
الفكرة القومية ، والعالمية ؟ ..

والجواب ان الاسلام لم يتجاهل الشخصية المميزة ولا
الواقع التاريخى للشعوب . وما أتى به من نظام عام للحكم ،
وتوجيه شامل للاقتصاد، وتربية روحية للانسان، انما قصد
به بناء المجتمع البشرى على أساس من العدالة الحق، وعدم
استغلال الغنى للفقير، وتطهير النفوس من الرذائل التى تؤثر
العداوة بين الناس .

فاسناد الحكم الى النخبة المختارة من ذوى الخبرة والنزاهة
والسابقة فى خدمة الصالح العام، كما يتوخى الاسلام، انما
يراد به ابعاد المتسلطين والانتهازيين ممن لا كفاءة لهم ولا فضل
الا التفرير بالجماهير واغتنام الفرص التى يظهر فيها امثالهم.
وتحريم الربا - مثلا - الذى يعد دعامة ثابتة فى المعاملات المالية
فى الاسلام، هو من اعظم العوامل على تحرير الاقتصاد من
الاستغلال والاحتكار والتصرف فى موارد الدولة بالغرض

والشهوة والمصلحة الشخصية، الذى كثيرا ما يكون السبب فى انحلالها. وتربية الناس على مراقبة الخالق عز وجل، والاستعداد ليوم المعاد، تجعلهم يبتعدون عن كثير من الرذائل، خوف مناقشة الحساب وشديد العقاب .

واذا قامت المجتمعات على هذه المبادئ الحميدة والخصال الكريمة، سادت فيها روح التفاهم والتقارب، وانعدمت بينها او كادت، موجبات العداوة والبغضاء، ووجد التعايش السلمى بين الافراد والجماعات والامم والشعوب، الذى هو الغاية من قيام المنظمات الدولية، كعصبة الامم المتحدة، ومنظمة الامم المتحدة اللتين لم تحققا - وبالإسف - هذه الغاية قط، كما حققها الاسلام فى عهوده الزاهرة، لما كانت اكثريه شعوب القارات الثلاث المعروفة اذ ذاك، تنضوى تحت لوائه !

وهذه المقاصد النبيلة التى هى مجمل دعوة الاسلام ، ورسالته الخالدة لم تمس - كما رأينا - بوجه من الوجوه، المشخصات الجنسية للشعوب ولا كيائها الخاص. بل اننا لنجد فى شريعة الاسلام ما يؤكد الفوارق الجنسية، ويعترف بأن لكل

قوم كيأنهم المستقل، لكن لا على أصل التنايز والمنافرة كما هو
فى الواقع حال معظم الشعوب اليوم، ولا سيما المتمدنة منها،
التي كلما تمدنت توحشت، وانما على أصل التعارف والمعاملة ،
لتبادل المصالح وعمارة الارض .

ولنستمع الى هذا النداء الالهى الكريم، فى القرآن العظيم.
«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا، ان أكرمكم عند الله أتقاكم، ان الله عليم خبير،
فقد اثبت أولا ، مساواة الناس بعضهم لبعض فى أصل التكوين
والولادة والنشأة الاولى. وبذلك نفى ان يكون لبعضهم فضل
على بعض، بحكم تساويهم فى الاصل. واثبت ثانيا، انه جعلهم
شعوبا وقبائل، وهذا اعتراف بوجود القوميات المتعددة لا مرية
فيه، لانه امر مشاهد، لكنه نبههم الى ان حكمته ليست هى
التعصب والانانية والتعالى، بل التعارف المثمر للتقارب والتعاون
على الصالح العام، وذلك فى قوله تعالى (لتعارفوا) فهى كلمة
توزن بالذهب، لانها لخصت موقف الاسلام من القوميات ،
وحكمه عليها، والاتجاه السليم الذى يجب ان يتجه فيه، وذلك
بأوعب عبارة وادقها واخصرها .

فالإسلام لا ينكر القوميات بل يعترف بها، لأن وجودها شيء طبيعي، ومما تقتضيه ضرورة العمران. غير أنه يميل بها عن عبئية الجاهلية، وتفأخرها بالآباء والأجداد، وعن تعصب الشعوبية وأنانيتها، وعن نظرية الجنس السامي والعنصرية المقيتة، التي تسود الآن أجزاء من العالم برغم تقدمها في العلم والحضارة المادية. فالشعور القومي إذا بلغ إلى هذه الدرجة من الغلو والحدة، لا يرضاه الإسلام ولا يقره بحال. لكنه لا يلغيه إطلاقاً، بل يلفظه ويهذب حتى يصير معقولاً ومقبولاً، من أجل أن القومية ما وجدت إلا لتكون سبيلاً للتعارف والتعاون، فلا ينبغي أن ننحرف بها إلى ما يضيع الحكمة من وجودها، فضلاً عن أن ادعاء التفوق لجنس على جنس بمجرد الأصل والعرق، هو ادعاء باطل لا نصيب له من الصحة، مع ما علم من تساوى الناس في أصل الوجود ومبدأ الخليقة .

نعم أقر الإسلام مبدأ التفاضل بين الناس بشئ آخر غير الجنس والأصل، وهو التقوى، كما يستفاد من ذلك النداء الإلهي الآنف الذكر الذي يقول في الآخرة: «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» .

والتقوى قيمة خلقية عظيمة تدرج تحتها جميع الفضائل
الانسانية. ومبناها على خوف الله عز وجل واجلاله ومن ثم
كان صاحبها مامون بالبواثق، فلا يصدر عنه ما ينقض العهد
الذى ألزمه باعتناق الاسلام، وهو عدم الزيغ عن المحجة البيضاء.
ولذلك كان الاسلام وما يزال دعوة حققت وتحقق المساواة بين
الشعوب على اختلاف عناصرها وألوانها ولغاتها .

وجاء في حديث صحيح أن النبى (ص) سئل عن أكرم
الناس، فقال أتقاهم! قيل ليس عن هذا نسألك. قال: فعن
معادن العرب تسألوننى؟.. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى
الاسلام اذا فقهوا(I) .. فلم يهدر ماضى القوم، ولا أهدر
مفاخرهم، بل اقرها واكدها بشرط ان يتفقهوا فى الدين
ويعلموا حلاله وحرامه. ولا شك انهم حينئذ سيتخلون عن كثير
مما كانوا يحسبونه فضلا وشرفا، وما هو الا عنجهية خرقاء، ان
اعتد بها أهل الجاهلية، فهى عند من هذبهم تعاليم الاسلام
تظاهر سخيف.

(I) رواه البخارى ومسلم

ولنستمع الى قوله (ص) فى حديث آخر : «ان الله قد اذهب عنكم عبية(I) الجاهلية وتفاخرها بالآباء» انما هو مومن تقى أو فاجر شقى، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم من تراب(2). فصرح بما يفهم من الحديث السابق ، وهو النهى عن التكبر والترفع والاعتداد بمآثر الجاهلية التى لس لها فى شرع الانسانية الرشيدة وزن .

وهذا ان كان ورد فى حق العرب الذين بعث الله نبيه الكريم منهم، فهو يجر ذيله على غيرهم من الامم والشعوب بالاحروية، لا سيما والمعتاد ان اصحاب الدعوات المختلفة ، درجوا على ان ينسبوا لقومهم من الفضل والسمو على غيرهم ما هو معروف، فاذا نفى النبى (ص) ان يكون للعرب أى فضل الا بالعلم والعمل، فهو بنفيه كذلك عن غيرهم. بل أنه صرح بذلك فى الحديث القائل: «لا فضل لعربى على عجمى ولا لاهمر على أسود الا بتقوى الله».

(I) بضم العين وكسرهما مع تشديد الباء والياء: الكبر
(2) رواه أبو داود والترمذى

فبيان بهذا ان الاسلام ليس ضد القوميات، ولا يحاربها ،
وانما هو ضد ما ينشأ عن الغلو فيها، ويحارب حدة الشعور
بها، كيلا تصبح وسيلة للتفرقة والعداوة والبغضاء. وبالضرورة
هو أيضا لا يقبل ان تكون الها معبودا وشعارا يؤلهه الجهلة
والقادة الذين يستغلونهم، فيلقنونهم ان الموت فى سبيلها
شهادة وان تقديسها من المعتقدات القلبية، فالشهادة انما تجب
لمن مات فى سبيل الله، لا لمن دافع عن مطامع واغراض شخصية
مما يكون غالبا باعثا على الحروب ومنازعات الدول . والشهادة
انما هى الجزاء الالهى لمن جعل كلمة الله هى العليا، لا لمن
حارب ليسود فلان او حزب او حلف بن الاحلاف.

وايا القدسية فانما هى لله عز وجل، وليست لمخلوق
مهما علا شأنه. ولا يستطيع المخلوق ان يوجبها لاحد ولا لمعنى
من المعانى، ما لم يكن لله الجانب الاوفر فيه، بل القصد
الاول والاخير .

وهذا المنحى الاعتقادى لا تحوم القوانين والمذاهب
المعاصرة بحوله، أعنى انها لا تعتبره. ولا تعطيه أى أهمية لانها

أسقطت مراعاة جانب الله من حسابها، فلذلك اوجبت للقومية
ولغيرها من الشعارات كالعلم الوطنى ما لله من قداسة واجلال
وعظمة وتمجيد وخضوع. فنشأ عن ذلك من الجهالات والمحاذير
ما هو معلوم ، واشترك الناس مع الله غيره وهم لا يشعرون.
ولذا فنحن ننبه عليه المسلمين، ونرشدهم الى ما ينبغى لهم
ان يأخذوا به فى هذا الصدد من التمييز بين ما هو عقيدة وما
هو واجب، وما يختص بجلال الله من العبارات والالقاب ، وما
فيه سعة للتعبير عن التكاليف الوقتية والالتزامات القانونية .
ولما رأى الناس شرور الحروب الكبرى وعانوا من
أهوالها ما غانوا، وهى الرثى انما تنشب من اجل النعرات
القومية الجامحة الطائشة، أرادوا ان يتلافوا أخطارها ويعالجوا
أضرارها، فأنشأوا الجمعيات العامة التى تشارك فيها جميع
الامم والشعوب كعصبة الامم التى وجدت بعد الحرب العالمية الأولى
وهيئة الامم المتحدة التى وجدت بعد الحرب العالمية الثانية ،
وانحلال الاولى دليل على عدم نجاحها فى تحقيق الغاية التى
وجدت من أجلها، أما الثانية فانها سائرة فى سبيلها، والدليل

على ذلك انها لم تستطع ان تمنع حتى الميز العنصرى السائد
فى افريقية الجنوبية، ولا أن تكف العنصريين الجدد فى
روديسيا عن الاستبداد بالحكم وتسخير أهل البلاد الاصليين
لمصالحهم الخاصة ! كما ظهرت بعض المذاهب السياسية التى
تكتسى صبغة العالمية، وتريد أن تلاشى الفروق وتقضى على
الخلافا ت بين الامم والشعوب كالشيوعية، ولكن هل نجحت
هى أيضا فى بلوغ هذا الهدف؟ أم أنها زادت الطين بلة، وقسمت
العالم الى معسكرين متطاحنين؟ بل انقسمت على نفسها الى
جبهات عديدة يوشك ان يصطدم بعضها ببعض! . والمهم هو
ان ما لم تحققه الامم المتحدة وهى الآن تنيف عن مائة وخمس
وعشرين دولة ، والشيوعية الدولية، قد حققه الاسلام بمفرده ،
وعاشت فى ظل حكمه العادل، قوميات لا تعد ولا تحصى،
محتفظة بدينها وخصائصها، ومتمتعة بخريتها الكاملة. ولم يقم
بنيها خصام قط، خلال تاريخ الاسلام الطويل، الا فى بعض
الظروف القليلة، وكانت الايدى الخفية من أعدائه، هى التى
تهيجه وتستفز شعور المواطنين وتستغل سذاجتهم، وذلك كما

وقع في أواخر أيام الدولة العثمانية وفي خصوص بعض الاقاليم.
واهم من ذلك كله ان موقف الاسلام من القوميات موقف
معقول وحكيم وفضلا عن عدم معارضته لها في الجملة، فان
المنظمات العالمية والمذاهب السياسية الكبرى لم تجيء
بأفضل منه ! ..

الإسلام والمذاهب المعاصرة

ظلت بلاد الاسلام قلعة حصينة لا ترام ولا سيما فى
معنوياتها، منذ ان تقعدت قواعدها وتأصلت اصولها الى نهاية
الخلافة العثمانية، وقد اصطدم المسلمون فى حركة الفتح
الاولى بامبراطوريتين عظيمتين هما امبراطوريتا فارس والروم،
وكانتا تمثلان حضارة الشرق والغرب بما فيها من علوم واداب
وفنون، فما تأثروا بهما ولا بالوهما مبالاة، حتى ليحكى انه
حُمِل الى احد خلفاء بنى امية صندوق مقفل من ذخائر
الاكاسرة، فأمر بتسويقه على ما هو عليه، فقبل له لو فتحته
لترى ما فيه! فقال: وما عسى ان يكون فيه الا حماقة من
حماقات فارس، فاشترى يهودى بثمان مرتفع، فلما فتحه وجد
فيه صندوقا ثانيا ثم ثالثا ثم رابعا الى سابع صغير، واذا فيه
بطاقة مكتوب فيها ما معناه: من اراد ان تطول لحيته فليمشطها
من اسفل ! فعجب الناس من حصافة رأى الخليفة
وصدق تقديره .

والواقع ان القوم كانوا معتزين بأنفسهم، مستغنين بما

ءاتاهم الله من هدى ونور وحكمة وايمان عن كل عطاء اجنبى،
واستلهم لغير ما بين ايديهم من كتاب عزيز وسنة طاهرة .
وكانوا يرون ما عند عدوهم من كثرة عدد وقوة عدة، وهم مع
ذلك ينتصرون عليه ويهزمون به شر هزيمة، فلا يشكون فى
انه على ضلال وانه مخذبل، وانه اولى ان ياخذ عنهم ويسترشدهم
بهم، والعكس باطل لا يخطر ببال احد منهم .

ولما قامت حركة النقل والترجمة لعلوم يونان على قدم
وساق، ايام الخليفة المامون، لم ينصب اهتمامهم الا على ما
فيه نفع ظاهر من علم الطب والكيمياء والهندسة والرياضيات
على العموم، حتى الفلسفة ما نقلوها الا للاحتجاج بها على
خصوم الاسلام والرد عليهم باساليبهم، مع تصحيح ما فيها من
خطأ وتبيين ما اشتملت عليه من اوهام، بحيث ادى الامر الى
وضع علم الكلام، وهو الفلسفة الاسلامية التى قابلوا بها فلسفة
اليونان ، وحموا عقيدة ابنائهم من ان تجرفها الوسواس
والاغاليط .

اما الادب والشعر ، ومنه الملاحم والمسرحيات فانهم

استخفوا بانتاجهم فيه، خصوصا وهو يكتسى صبغة الوثنية
المغرقة في الشرك والالحاد وتعدد الآلهة، مما يتنافى ورسالة
التوحيد التي جاءوا بها وبلغوها للناس، فلم ينقلوا منه شيئا
مكتفين بادبهم وشعرهم وبيانهم الذي لم يكن يوازيه في
نظرهم بيان غيره .

واستمر الحال على هذا المنوال، طوال ثلاثة عشر قرنا،
اي مدة قيام الخلافة الاسلامية واستئلال المسلمين في المشرق
والمغرب بظل رايثها الخفاقة، حتى في عهود ضعفها وتقلص
نفوذها، ما قامت دعوة منحرفة، ولا وجد مذهب زائغ، الا كشفوا
عواره وقابلوه بالرفض؛ احتفاظا منهم بالاصاله والوعى والكيان
الروحي الذي يصون وحدتهم ويفرض وجودهم ويجعلهم يدا
على من سواهم .

وان التاريخ ليشهد بما كان عليه المسلمون من التكافل
والتضامن، وهم في اسوأ حالات الانهيار، فانكلترا كانت تداوى
دولة الخلافة خوفا من قيام مسلمى الهند عليها، ومصطفى كامل
زعيم الحزب الوطنى المصرى كان يلقي تاييدا مطلقا من الخليفة

عبد الحميد .. وبرغم ما كان عليه وضع الاقتصاد العثماني من تدهور، فان هذا الخليفة رفض العطاء الضخم الذي عرضه عليه اليهود لقاء الاذن لهم باتخاذ فلسطين موطن هجرة .. بل ان تكالب دول اوروبا قاطبة على دولة الخلافة قصد رفع يدها عن بلاد البلقان، في حين كانت تلك الدول تبسط سلطانها على الشعوب الضعيفة في افريقيا وءاسيا، ومن بينها شعوب اسلامية، ما كان ليفت في عضد هذه الدولة ويجعلها تطأطيء الرأس للاعداء، وانما كانت تخوض الحروب الطاحنة دفاعا عن سيادتها، ولا تحجم ابدا كما تحجم الدول العربية اليوم عن حرب اسرائيل، مع ملاحظة الفرق العظيم بين دويلة العصابات، والدول الكبرى التي كان الخلفاء العثمانيون يواجهونها بقوات غير متكافئة ولا مقاربة . وما ذلك الا من تمثل الشخصية الاسلامية في دولة الخلافة بجميع خصائصها وقيمتها، وتعاطف المسلمين معها ومساندتهم لها ولو كانوا خارجين عن سلطتها كمسلمي المغرب. فهي تقاتل بقوة معنوية تقاوم قوة العدو المادية، وتصمم على النصر او الشهادة كما كان المسلمون

الاولون يفعلون ، ولا تعطى الدنية وترضى بشماتة
الاعداء ربحت المعركة ام خسرتها .

الى ان وقع الانقلاب التركي وقام الشبان الاتراك بتأسيس
اول حكومة ديموقراطية كما يقولون، فدخلت العناصر المناوئة
للاسلام فى الحكم وتمكنت من تقويض كيانه، وغمر مثله
العليا واخلاقياته السامية بمبادئ الغرب وافكاره الهدامة، ثم
اطاحت بعد ذلك بالخلافة الاسلامية، فتمزق شمل المسلمين،
وصارت تركيا دولة صغيرة من الصف الثالث، وقامت فى كل
بلد إسلامى كان خاضعا لها، حكومة من نفس الطراز، اعتقادا
بان ذلك هو المثل الاعلى للحكم، وان اوروبا ما تقدمت الا
بحكوماتها الديموقراطية المنبثقة من الشعب على ما يزعمون،
ولم يفكر احد فى اصلاح الفساد ورأب الصدع الذى منه اتى
المسلمون، وأن السيادة انما تكون من الاصاله، والتفوق لا
يكون بالتقليد، وهكذا وقع للمسلمين ما وقع للغراب الذى اراد
ان يمشى مشية الحمامة، فلا هو بمشيته ولا بمشيته.

وكثرت التجارب الفاشلة ، والانقلابات السياسية

والعسكرية ، وتوالى الانزلاق نحو الحكم الدكتاتورى مغلفا
بالادعاءات المختلفة من الديموقراطية الشعبية والاشتراكية
الاسلامية تارة والعلمية تارة اخرى، ويعنون بها الشيوعية ،
وفى بلاد العرب بالخصوص انتشرت الدعوة للقومية العربية
والبعث العربى، انطلاقا من مفهوم القوميات الاروبية التى
نشأت فى عهد الثورة على الكنيسة واستقلال السلطة المدنية
عن السلطة الروحية، ولذلك كان ابعاد الدين عن شخصات
القومية العربية من الشروط الاولى، والهدف هو الاسلام كما
لا نحتاج ان نقول، فصار الدين عنوانا على الرجعية والتخلف،
وان كانت الدولة التى ارغمت انوف العرب انما قامت على
اساس دينى متعصب.

وفى هذا الوضع تسربت الى بلاد الاسلام مذاهب واهراء
صبغت المسلمين بكل لون، واشاعت بينهم الفساد والاحاد،
وعملت على تفكيك ما بينهم من روابط، بل جعلت بعضهم لبعض
عدوا، وروجت لسوق الحماقات بينهم، فلم يوجد فيهم من
يدفعها كما دفع الخليفة الاموى حماقة الصندوق الكسرى،

وأدى الأمر الى أن صار المسلمون والعرب يتقاتلون من اجل اختلافهم فى أنظمة الحكم المستوردة، ومن اجل اختلافهم فى المذاهب السياسية المستوردة، وتشن أجهزة الاعلام فى بلادهم حملات الدعاية للنزعات اليمينية او اليسارية، متوددين بها لمستعمرهم الجدد، ومتنكرين فى الوقت نفسه، بعضهم لبعض، ولا تظهر بدعة ولا سخافة فى عالم ما يسمى بالموضة الا تبنيوها وتلقوها باليمين ولو كانت تشويه الوجه او كشف العورة وما الى ذلك، اما الاسلام وادابه وتربيته وتعاليمه فقد اصبح دبر الآذان منهم، وكذا التفكير فى اقامة نظام حكم اسلامى والرجوع الى دستور القراءان واحياء دولة الخلافة، فانه يعد عندهم من المستحيلات .

والعجب كيف نجح الاستعمار الفكرى فى بلاد الاسلام بعد زوال الاستعمار العسكرى فتجد شباب الاسلام والمنظمات السياسية فى البلاد الاسلامية وكل العناصر المتحركة تبشر بهذه المذاهب الجديدة وتسعى فى نشرها وبعضهم يستमित من اجل انتصارها وسيطرتها حتى انه ليقبل السجن والعذاب

فى سبيلها، لانه يرى انها سبيل الخلاص ووسيلة النهوض، ولا
يعتبر بما ءالت اليه حال الشعوب الاسلامية والعربية من تاخر
وانحطاط نتيجة اعتناق هذه المذاهب، وما نشأ بينها من نزاع
وخصومات، بحيث استحكم الخلاف والفرقة، واستحال التقريب
والتوفيق بين ابناء القطر الواحد كالشام الذى جرى الى اربع
دول والعراق الذى اصبح الاكراذ فيه يطالبون بالاستقلال .

والادهى من ذلك كله، ان اعتناق بعض الحكومات لهذه
المذاهب اوجد بينها وبين الشعب المسلم هوة سحيقة ابعدته
عنها وافقدتها تاييده، بل صار يتمنى لها الخذلان والفشل فى
كل ما تحاوله وتاتيه، ومن ثم كانت الهزيمة الشنعاء التى
منيت بها الحكومات العربية امام شذاذ الآفاق من الصهاينة ،
لان شعوبها لم تكن معها، ولان قواتها كانت موزعة بين الدفاع
عنها ودفاع العدو، ولو كانت مطمئنة على نفسها لما اجتاحت
الى حامية تحميها .

وهذا بعض ما يسببه استيراد النظم والمذاهب الاجنبية
التي لا تلائم طبيعة الشعب، ولا تمتزج بعقيدته وايمانه

وشعوره، واليك العبره بابتلاء التي نشأت فيها هذه المذاهب
ومنها تصدر الينا، فرنسا وهولاندا مثلاً، واحداهما جمهورية
والاخرى ملكية على رأسها امرأة، لو جعلت أمر القيادة العليا
لجيشها في يد اكثر السياسيين المعارضين لحكومتها تطرفاً،
وفتحت له خزائن بنك الدولة، وقلت له تصرف كما تريد، لما
خطر بباله ان يدبر انقلاباً على حكومة بلاده ولا ان يخذل جيشها
في حرب، ولاعتبر عرضك مساومة له في ذمته واخلاصه
ووطنيته! لكن عملاء المذاهب المستوردة عندنا ليسوا كذلك ،
فهم يسخرون انفسهم للاجنبي من حيث لا يشعرون، ويفشلون.
لانهم ليسوا من الشعب ولا من عقيدته وامله وطموحه ،
وسيقون كذلك الى ان ياتي الله بالفتح أو أمر من عنده
فيصبحوا على ما فعلوا نادمين .

والخلاصة ان هذه المذاهب ان كانت تصلح لاهلها الذين
نشأت فيهم وانبعثت منهم فانها لا تصلح لنا ولا تعالج ما بنا
من ضعف وجهل وانحطاط، وأن في الاسلام ما يقاومها وينهض
بنا ويفغينا عن كل استجداء واستعطاء. واذا كان الاستيراد من

هذا القبيل دليلا على التخلف والتبعية وانعدام الاصاله، فانه
كما اثبتنا ما يزيدنا بلبلة فكر وضعف ايمان ويفتت
وحدتنا ويفرق كلمتنا ، وما بعد العيان من بيان .

الديمقراطية

كلمة يونانية معناها حكم الشعب، فهي مذهب سياسى لا اقل ولا اكثر، ولعلها بذلك اخف المذاهب المستوردة ضررا، ولكن المسلمين خدعوا بها خداعا كبيرا، وكانوا فى اوائل هذا القرن يتغنون بها كما يتغنى العاشق بمعشوقته، ولما كانت الثورة الفرنسية التى انفجرت على النظام الملكى سنة 1789 انما قامت على مبادئ هذا المذهب، فانها كذلك حظيت بتجميد المسلمين بل الشرقيين عموما، واصبحت هيجتيرا كل كاتب وخطيب ومعلم.

وابتداء العمل بتطبيق الحكم الديموقراطى فى دولة الخلافة العثمانية سنة 1908، وكانت ما تزال تحتضن بلاد العرب وبعض شعوب البلقان، وكان الاعتقاد ان سيادة الديموقراطية ستحمى هذه الدولة من التفكك، ولكنها لم تغن شيئا عن المصير المحتوم الذى كان مقدر لها، فقد تتابعت الثورات فى تركيا نفسها على الخليفة عبد الحميد الثانى الذى كان اخر من حكم هذه البلاد بجد وحزم، وفى بلاد البلقان، والبلاد العربية، وانتشر ذلك

السلوك ، وصارت تركيا دولة صغيرة تحكم ظاهرا بالنظام
الديموقراطي، وواقعا بالديكتاتورية العسكرية التي نهج سبيلها
أتاتورك بعدما ألغى الخلافة وأعلن فصل الدين عن الدولة،
وإعطى اعظم مثال على ان الديمقراطية خدعة سياسية لا غير.
وصار الامر في البلاد العربية على هذا المنوال، فمن
الديموقراطية المزعومة الى الديكتاتورية المفروضة، مما ادى
الى عديد من الانقلابات السياسية والعسكرية ، وانعدام
الاستقرار بتاتا، ولا سيما بعد قيام دولة اسرائيل في هذا
العهد الجديد الذي طالما تغزل به الكتاب والشعراء ..

ونظن ان فشل هذا المذهب في تحقيق الاصلاح المنشود،
يسائر البلاد الاسلامية، يغنينا عن التعرض له، ولكن لابد مع
ذلك من وضع بعض البصمات على مواطن الضعف فيه، وخاصة
بالنظر الى نظام الحكم الاسلامي، للتقليل من حماسة المبشرين
به، وزعزعة الثقة التي يوليها اياه الدعاة الذين ما يزالون
مخلصين له .

ان المبدأ الاساسي الذي يقوم عليه هذا المذهب، هو

ان الشعب مصدر السلطة بجميع انواعها، من تشريعية وقضائية وتنفيذية، واول ما يصطدم هذا المبدأ بما تقرر فى الشرع الاسلامى من انه لا حكم الا لله، فالمشرع فى جميع الاحوال هو الله عز وجل على لسان رسوله المبلغ عنه، كما جاء فى الآية الكريمة (إِنَّ الْحَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ) .

وقد اشتمل الوحي من القرءان الكريم والسنة الثابتة على اصول الاحكام وقواعد التشريع فيما يتعلق بالعبادات والعادات والمعاملات، وما لم يذكر فيهما نصا يؤخذ منهما بطريق القياس على ما ذكرناه ، كما يستفاد من قوله تعالى (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم، فان تنازعتم فى شىء، فردوه الى الله والرسول، ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير واحسن تاويلا) فامر بالرد الى الله والرسول اى الى الكتاب والسنة، وما استنبط منهما من احكام بالنص او القياس، ولم يقل فردوه الى الشعب، فالشعب لا يعتبر مصدر تشريع فى الاسلام .

ثم ان حكم الشعب فى هذا المذهب لا يعنى باعتراف

اصحابه الاجماع الشعبى، لانه امر يكاد يكون مستحيلا، وانما يقصد به حكم الاغلبية، وقد اصبح من المسلم به، ان هذه الاغلبية ايضا انما هي اغلبية نسبية، وذلك ان التنظيمات الحزبية التى تعمل على تطبيق هذا الحكم غالبا ما تتعارض، فالذى يحصل منها على اغلبية الاصوات هو الذى يحكم، ويبقى التنظيم الحزبى المعارض له خارجا عن الحكم، ثم ان هناك الاكثرية الكاثرة من الشعب، التى لا تنتسب الى اى حزب من الاحزاب، فهؤلاء كلهم يكونون خارج الحكم، وعليه ضدا كما هو المشاهد فكيف يقال: ان هذا الحكم حكم شعبى ولو بالاغلبية؟..

وقد يخطر فى البال مسألة الاجماع فى اصول الفقه الاسلامى، ويشتبه الامر فيها بالاجماع الشعبى الذى قلنا انه مستحيل، وللفرق بينهما وازالة الالتباس، نقول ان الاجماع الذى هو احد ادلة التشريع فى الاسلام، لا يعنى كذلك الاجماع الشعبى لكونه مستحيلا فقط، ولكن لكونه لا تتحقق به المصلحة الحقيقية، لان عامة الشعب انما تتبع الهوى وما يخف على النفس من دواعى الباطل، فحكم الاكثرية العددية فيه ملغى،

ولكنه معوض بأكثرية نوعية، اذ هو اتفاق علماء العصر على حكم
الحادثة، او اتفاق مجتهدى الامة فى عصر على امر ما (١) .. وشتان
ما بين اتفاق علماء الامة واتفاق جهلائها ان امكن اتفاقهم ، ولا
سيما فى قضية الحكم والسياسة .

وانظر الى أمر الامة على عهد ابى بكر وعمر، لما كان يُرد
الى مثل عثمان وعلى وطلحة والزبير وابى عبيدة ولما صار الى
أيدي الغوغاء من عامة الشعب اواخر ايام عثمان ومدة خلافة
على رضى الله عنهما. وهذا هو ما حصل فى بلاد الاسلام لما
اعتنقت الحكم الديموقراطى ظنا منها بانه سبيل الخلاص،
فاصبح الجهال والانتهازيون يصرفون شؤون الشعب ويشرفون
على مقدرات الدولة، فلم تنزل تنزل من درك الى درك، حتى
صارت الى ما هى عليه الآن.

(I) التعريف الاول للجوينى والثانى للسبكي.

الاشتراكية

كانت الديموقراطية هى مزلفة الشعوب الاسلامية والعربية بالخصوص نحو الاشتراكية. ان هذه الشعوب بعد يقظتها البطيئة جعلت تبحث عن الوسائل التى تسترجع بها عزها وكرامتها، ولما لم تجد فى الديموقراطية بغيتها مع ما كانت تعلقه عليها من امال عراض، تحولت تحت ضغط الديكتاتوريات التى نشأت فيها، الى الاشتراكية، ولم يكن بد من ذلك، لانها جربت الديموقراطية وفشلت فى تجربتها. وكانت قد استبدلتها بنظام الاسلام، فلم يبق امامها الا الاشتراكية، لا سيما وقد قامت لها فى الثلاثينات فما بعدها، دعاية واسعة النطاق، على اثر التقدم العلمى الذى احرزته دولة الاتحاد السوفياتى، وهى الدولة الاشتراكية الاولى فى العالم.

واذا كانت الاشتراكية اكثر من نظام سياسى، فانها سرعان ما ظهرت لها ردود فعل قوية فى البلاد الاسلامية، هذه البلاد التى ما تزال الفكرة الدينية سائدة فيها ومتغلغة فى نفوس ابنائها، فلم يكن من الممكن زعزعة عقيدتهم فى وجود

الله، ورسالة الانبياء، ومزاولة الشعائر الدينية، والخضوع
للقانون الاسلامى على الاقل فى الاحوال الشخصية التى لم يمسه
النظام الديموقراطى ، وان عطل التعامل وفق القوانين المدنية
والجنائية الاسلامية .

ومن الحق القول بان الاشتراكية التى تعارض التدين
وتشكل نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا هى ما يسمونه
بالاشتراكية العلمية او الماركسية نسبة الى مؤسسها كارل
ماركس ، وليست الاشتراكية الديموقراطية التى هى نظام
سياسى واقتصادى فقط، يسود فى اكثر من بلد اوروبى ولا
يتنكر للعقيدة الدينية، بدليل وجود كثير من الاحزاب السياسية
الاروبية التى تحمل وصف الحزب الاشتراكى المسيحى، كما
ان احزابا اخرى تحمل وصف الحزب الديموقراطى المسيحى
ولكن الواقع ان الفرق بين المذهبين، الاشتراكية العلمية ،
والاشتراكية الديموقراطية ليس كبيرا جدا حتى يستطيع
السواد الاعظم من الناس التمييز بينهما، واذا كان من المحتمل
قيام حكم اشتراكى ديموقراطى فى البلاد الاروبية باسناد

أحزاب اشتراكية تنعت نفسها بالمسيحية، فلأن المسيحية كما
هى عند اتباعها اليوم مجرد عقيدة دينية، لا شريعة ونظام حكم
كما هو الاسلام .

ومن اجل ان هذا الخيط الرفيع الذى يفصل بين
الاشتراكيين عسير الادراك ، فان الاشتراكية الديموقراطية
كثيرا ما تكون مزلفة نحو الاشتراكية العممية اى الماركسية او
الشيوعية بعبارة اوضح، ولذا نجد كثيرا من الدول الرأسمالية
الغربية تحارب الاشتراكية مطلقا خشية الوقوع فى محاذيرها.
وعندنا بخصوص البلاد الاسلامية تجربة اندونيسيا التى لم
تلبث ان انجرفت نحو الشيوعية، لولا ان تدراك الامر ،
المخلصون من ابنائها .

وفى البلاد العربية التى اتخذت من الاشتراكية شعارا، لم
ينشب الحكم ان اصطدم بالعناصر الحية من ابنائها، دعاة
اصلاح، وقادة فكر، وهيآت اسلامية، ومنظمات سياسية، فضلا
عن رجال الاقتصاد والاعمال والفلاحين والعمال انفسهم، لانهم
حاولوا السيطرة على الجميع، وتوجيههم فى الخط الذى رسموه.

بدون استشارة للشعب ولا اخذ برأيه، فصارت هذه البلاد
تراجع يوما فيوما عما كانت عليه من التطور والنهوض، وخيم
البؤس والشقاء على ابنائها فتشردت النخبة المفكرة منهم فى
البلاد التى سلمت من هذه العاهة، وانطفأت تلك الشعلة التى
كانت تبعث الحماس فى النفوس لبناء الوطن العربى، واحلّله
المحل اللائق به بين البلاد الراقية .

وشعر بعض القادة بالانحسار أمام المد الشعبى الاسلامى
الذى لا يبغى بدينه بديلا، فمنهم من تراجع شكليا ودعا الى
اشتراكية رشيدة قصد اصطلاح بعض الاخطاء، ومنهم من
اخترع اسم الاشتراكية الاسلامية للتغريير بجمهور الشعب
المسلم، ولم يعد من الخدام والانصار ومن المتطوعين لاحتضان
كل جديد، من يتلمس له الجذور والاصول لدعواه هذه، فى
تعاليم الاسلام ونصوصه واقوال علمائه .

ولعل ابرز وجه يقدمه دعاة الاشتراكية الاسلامية هو ابو
ذر الغفارى الصحابى الجليل الذى قال فيه النبى (ص) ما
أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابنى

ذر، فيجعلونه اول اشتراكى فى الاسلام ويحتجون به على وجود
اصول الاشتراكية فى الدين الحنيف. وهو (ض) كان يحمل
الرغائب محمل العزائم، ويدعو الى انفاق ما زاد على قوت
المرء فى يومه، ويطوف على الناس قائلا : بشر الكانزين بنار
تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، رافعا بها صوته، مع ان
الآية جاءت فى مانعى الزكاة ، وقد كان يجتمع عليه الفقراء
معجبين بقوله، فخشى عثمان (ض) ان يحدث فى الدولة شغب
بسببه، فمنعه من ذلك، ولما لم يمتنع نفاه الى الربذة قرية
بقرب المدينة فبقى فيها حتى مات .

ان احدا من الصحابة رضوان الله عليهم لم يتابع ابا ذر على
مذهبه، والذي حدث ان العرب لما امتنعت عن دفع الزكاة، قاتلها
ابو بكر (ض) وقوفا مع الفقراء فى استخلاص حقهم، ولما اراد
الفقراء ان يتعدوا الحد بزعامه ابى ذر ، او خيف منهم
ذلك، منع عثمان، وهو ثالث الخلفاء الراشدين، اباذر من التماذى
فى دعوته ، وقوفا مع الاغنياء، فى حماية اموالهم .

والمال من الكليات الخمس التى جاء الاسلام وسائر الملل
بحفظها وحمايتها .

على ان ابا ذر كان قد ظهر منه بعض هذا الميل فى عهد
الرسول (ص) او ذلك على الاقل ما رواه هو حين قال جاء فقراء
المومنين الى النبى (ص) وشكوا اليه ما يجدونه من حسرة
حين يرون الاغنياء يتصدقون بفضول اموالهم ولا يجدون هم
ما يتصدقون به، فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير دبر
كل صلاة، وقال لهم ان ذلك يقوم مقام الصدقة قال فسمع
الاغنياء بذلك ففعلوا مثل فعلهم، فجاء الفقراء مرة اخرى الى
النبى (ص) واخبروه بفعل الاغنياء فقال: ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ؛ وهذا بدون شك انكار منه (ص) لهذه المنافسة
بين فقراء المومنين واغنيائهم .

نحن لا نقول بعدم العمل بالبرغائب، ولكننا نستنكر ان
يؤخذ برأى فرد من افراد الامة فى جعلها عزائم، ويتجاهل
اجماع المسلمين على خلاف هذا الرأى، فيحارب التمول باسم
الاسلام، وتنكر الملكية الفردية او تحدد، باسم الاسلام، ويبحث
عن جذور الاشتراكية فى مثل قوله تعالى (وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه) وقوله (وءاتوهم من مال الله الذى ءاتاكم) علما

بان مقام الترغيب يدعو لاستعمال مثل هذه التعابير، ولكنه لا يعدها ملزمة، والا لما قال في آية أخرى (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) وقال في آية ثانية (ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) فالاولى ترغيب كاللتين قبلها، والثانية تشريع، وفي كليتهما عبر باموال مضافة الى المعنيين بالامر على سبيل التعليل لا على سبيل الاستخلاف او التصرف فقط، وان كان الكل منه عز وجل. والآيات في هذا المعنى كثيرة فلا نطيل بها .

والمقصود انه ليس في رأى ابى ذر حجة، ولا في ظواهر بعض الآيات دليل على ما يقوله الذين ينسبون الاسلام الى الاشتراكية او ينسبون الاشتراكية الى الاسلام، فالاسلام اسمى واجل من ذلك، وهو يتعارض ومبادئ الاشتراكية الاساسية ، ديموقراطية كانت او علمية في اكثر من خط، واكثر من قاعدة، ولم يات الاسلام ليذوب في غيره من المذاهب، بل اتى ليصحح

خطأ المذاهب، وقيم زيفها وذلك بالنسبة الى الاشتراكية
او غيرها .

واستحدث ثلة من العرب، وخاصة المسيحيين ، بعض
المذاهب كالقومية بالمعنى الحزبي الخاص، والبعثية، وهى
مذاهب منقولة عن الاشتراكية الماركسية، قصد بها ابعاد العرب
عن الدين بعامة والاسلام بخاصة، مع اقامة نظام حكم عنصرى
متعصب، ولا نحتاج ان نتعرض لهذه المذاهب، فانما هى نسخة
محرفة عن الشيوعية، وحيث لم ينجح الاصل فان النسخة قطعاً
لا يكتب لها نجاح .

وما نريد ان نلح على ان التقدم العلمى الذى حصل فى
الاتحاد السوفياتى، ليس راجعاً بالذات، الى قيام الاشتراكية
فى هذه البلاد، والا فلماذا لم تحصل الشعوب الاخرى والبلاد
التي تسبح فى فلك الاشتراكية، ومنها بعض البلاد العربية على
نفس النتيجة ؟

الرأسمالية

توهم بعض الناس من حماية الاسلام للملكية الفردية ،
ان نظام الاقتصاد فى الاسلام نظام رأسمالى، وربما يتوهم
بعضهم من نفينا لان يكون الاسلام يجمع الاشتراكية، انه لا
يتنافى مع الرأسمالية .

وكلا الامرين خطأ بين، فانه لا يلزم من حماية الاسلام
للملكية الفردية ان يكون رأسماليا، ان الاسلام يحمى الملكية
الشرعية المستفادة من الكسب غير المدخول، المبنى على
الضرر والاذى، كاستغلال جهود العمال، وبخس الناس اشيائهم.
ومن ثم حرم القراض فى السلع والعروض، وجعله فى المال
خاصة، ولم يجعل على العامل فيه ضمانا ، وحرم الصرف
بالتأخير، وحرم تطفيف الكيل والميزال فى البيع، واستيفاءهما
فى الابتىاع، وحرم الغش والغرر، وحرم الغبن، وجعل للمغبون
الحق فى القيام على غابنه، الى غير ذلك مما يجرّد الكسب
من كل صفة نفعية تحليلية، والا فانه لا يُقره، وبالطبع لا
يحمى الملكية الناشئة عنه.

ويحرم الاسلام الاحتكارات بجميع انواعها، والاستثمارات
الواسعة التي تستخدم المصالح العامة، وهذه فى النظام
الرأسمالى غير ممنوعة، بناء على قاعدة دفع الامور تسيير .

ويمنع الاسلام التعامل بالربا، واخذ الفائدة واعطاءها ،
منعاً باتاً لا هوادة فيه، سواء كانت القروض استهلاكية او
انتاجية، ارتفعت الفائدة او انخفضت، فكيف يتصور حمايته
للاموال والشروات والملكية الحاصلة من هذا الوجه ؟ ..

ومعلوم ان النظام الاقتصادى الرأسمالى انما يقوم على
المعاملات الربوية، والقروض المصرفية، والدولية التى لا تخلو
هى ايضا من اشتراط الفائدة، قلت او كثرت، وبذلك اتسعت
مجالاته وعظمت موارده، ولكن على حساب الطبقات العاملة
والفقيرة، فتكدست الثروة فى ايدي جماعة خاصة من المستغلين،
وساء توزيع الدخل العمومى، فبينما تجد فئة قليلة من الناس
تكاد لا تحصى ثروتها، تجد عامة الشعب لا تحصل على بلاغ
من العيش، وهذا من اعظم الفوارق بين الرأسمالية والنظام
الاقتصادى الاسلامى .

وفضلا عن ذلك، فإن الاسلام يتدخل بصفة قانونية منتظمة، لفائدة الفقراء والمجتمع، فى كل ثروة خاصة بلغت حدا معيناً لا يتجاوز فى النقد مائتى درهم او عشرين دينارا، فيقتطع منها مبلغا محددا بحسب نوع الثروة من فلاح أو مال ناض، يسمى زكاة، ويصرف فى مصالح الفقراء وقضايا التحرير وديون العاجزين والانفاق على المنقطعين والمنشآت الدينية والعمومية. وذلك عن رأس كل سنة، ومن غير تمييز بين رأس المال وربحه، ان كان له ربح، وهو تدخل لا يستطيع احد ان يقول انه يجارى الرأسمالية بحال .

ولن يحتاج الى اطالة التفكير ان الاسلام ليس رأسماليا، كما أنه ليس اشتراكيا، لان الرأسمالية والاشتراكية اذا كانا مذهبين متقابلين، فان الاسلام غيرهما معا ولا يقابل مذهباً منهما على انفراد، ولذلك لا يلزم من نفي صفة الاشتراكية عنه ان يكون رأسماليا. وانما يقع هذا فى وهل من اعتاد ان يقابل الاشياء باسمائها ولو كانت هذه الاسماء، انما وضعت عليها جزافا ولا تدل دلالة مطابقة على معناها وحقيقتها .

وهذا ما جعلنا نستنكر وصف الاسلام بالديموقراطى
والاشتراكى، لانه يوقع الاغرار فى هذا التوهم، فيأتى من
بنال منه ويصفه بالراسمالى ومن يصفه بالشيوعى، وهلم جرا.
ولانه انتقاص له وتقول عليه، فلو وصفت الاشتراكية او
الديموقراطية بالاسلامية لكان فى ذلك افتيات على الاسلام
وبخس له، فكيف وقد رأينا انه الرائد السباق فى مضمار
العدالة الاجتماعية والحكم والتشريع ، يوصف بالديموقراطى
او الاشتراكى ؟

الوُجُودِيَّة

لم نتعرض للمذاهب الفلسفية والعقلية، لان هذا الكتاب ليس المراد منه الخوار والمباحث الفكرية، باستثناء مذهب الوجودية الذى اتخذه بعض الشباب عقيدة وسلوكا، فانهرفوا به عن الجادة، وكان مدرجة لفئة منهم الى الالحاد والاباحية . ومعلوم ان الوجودية مذهب فلسفى حديث، يتفرع الى مدارس مختلفة، منها المومن ومنها الملحد. فهى عند كيركجاد الذى يعد بحق ابا الوجودية، فلسفة قائمة على ان قلق الانسان يزول بالايمان بالله، ومن ثم عرفت مدرسته بالوجودية المسيحية. وكان كيركجاد يرفض المذاهب الفلسفية القديمة والجديدة ، ويعادى الفلاسفة العقليين بالخصوص، وهو وان اختلف مع الكنيسة، فانه لم يعارض الدين، وكتب فيه ابجاثا ذات نزعة صوفية، وكان يرى ان المعرفة الحقيقية تنبع من داخل النفس ، ولكون الوجودية انصرفت الى البحث عن الوجود الانساني واتخذته منطلقا لتفكيرها الفلسفى بدلا من ان تنطلق من الكون العام او الطبيعة كما هو الشأن فى الفلسفات الاخرى، سميت

بالوجودية ، فالبدائية كانت حسنة، وهى حرية ان تؤدى
بالانسان الى معرفة نفسه، وبمعرفتها يعرف خالقه، ففى
القرءان الكريم حثا على تفكير الانسان فى نفسه: (وفى انفسكم
افلا تبصرون) وورد فى الاثر : «من عرف نفسه عرف ربه»
وهذه كانت هى النتيجة التى وصل اليها مؤسس الوجودية
كيركجارد كما المعنا لذلك .

غير انه بدت فى الافق الذى يحيط بوجود الانسان والبحث
عنه، فلسفة وجودية ملحدة، تنتمى الى مدرسة سارتر، وهو
فيلسوف فرنسى معاصر ، يرى ان الوجود عبارة عن مجموعة
من الظواهر ليس وراءها شىء، فهو لا يستطيع ان يفسره، كما
يفعل الفلاسفة الآخرون، وانما يصفه كما هو، ولذلك كتب
عدة روايات اهتم فيها بالتحليلات النفسية وتصوير الطبيعة
البشرية، وابرز ما يسيطر على تفكيره النزعة العدمية والتشاؤم،
فالانسان حر فى اختياره، ولكن ارادته تتصادم مع ارادة
الآخرين، فهو يعيش فى جو من الصراع والفشل، وكيانه
ممزق من الداخل، وليس لوجوده علة تبرره، ولا مدد خارجي

يرفده ، فالقلق والامتعاظ يطبعان حياته، والغاية هي
العبث والغشيان .

ان من المؤسف ان هذه الوجودية الملحدة هي التي
انتشرت بين بعض الشبان المسلمين، عمل على انتشارها ما
نقل من كتب سارتر الى اللغة العربية، وهي كتب تتخذ اسلوب
الرواية والقصة، فتروج كثيرا، وتبث سمومها في النفوس
من طريق غير مباشر، وزاد في الطين بلة ما يغمر العالم اليوم
من موجات وتيارات فكرية هدامة، يكون الشباب اول ضحاياها،
لا سيما مع فقدان التربية الدينية، فقد غبر زمان كان التعليم
الديني فيه بفلسفته واخلاقه، يسيطر على دروس التربية، وكانت
القدوة الحسنة من رب الاسرة والاستاذ وافراد المجتمع، توجه
الجيل الصاعد وجهة محمودة، فكانت هذه المشكلة لا وجود
لها . اما الآن فقد تبدلت الحال، وألقى الحبل على الغارب،
وصارت الكتب الخليعة، والصحف المشبوهة، والسينما
بعجرتها وبجرها، هي التي تكون الشباب، وتخرجه على النحو
الذي يريده دعاة المادية والانحلال .

وقد يكون كافيا فى التحذير من الاغترار بهذه الوجودية
الملحدة، ما يصفه زعيمها سارتر فى كتبه من مظاهر الفساد
والتفسخ التى تميز مجتمع الوجوديين ، واستهتار ابطال
رواياته الذين يضربون عرض الحائط بكل القيم والمثل العليا،
فمتى كانت الفلسفة اباحية مطلقة، وسكرا وعربدة، وتسكعا
وثرثرة؟ واين وقار الفلاسفة وسمتهم، وزهدهم وعفتهم؟ فهل
مُسَخَّت الفلسفة هى ايضا كما مسخ الفلاسفة من طراز
مدرسة الوجودية ؟

انا اعلم ان الوسط الماجن المتحلل الذى تعيش فيه
شخصيات سارتر، ونماذجه البشرية المتخيّرة ، كما تعرضه
علينا رواياته وقصصه، هو من صنع الخيال وابتكار الفن،
ولكنه بلا شك يعكس صورا من الواقع، وظلا من الحياة التى
يحياها الكاتب ورفاقه ورفيقاته، ومن اين للقارئ البعيد عن
هذا الوسط، الشاب الذى ليس له ثقافة ، الطالب الناقص
المعرفة، ان يميزوا بين الخيال والواقع، ويتجنبوا السقوط فى
هوة هذه الاباحية المكشوفة ، ان سلموا من البلبلة
والشك والالحاد ؟

ولعل الفساد والاسراف على النفس والتفكر للاخلاق
والمسلّمات، لم تشع في عصر كما شاعت في عصرنا هذا ،
لأنها اصبحت مُسرّرة وذات فلسفة تدعو لها، وقد كانت فيما
قبل حتى عند الذين تشيع فيهم، جرائم اجتماعية، يُستتر
بها، ويشعر اصحابها بوخز الضمير مما يجعلهم يتسارعون الى
التوبة ويعلنون بالندم على ما فات .

وهذا هو المهم في الامر، فانا لم نذكر الوجودية لنناقشها
كفلسفة، لان هذه المناقشة محلها في فصول المدارس وقاعات
الكلّيات، وانما ذكرناها لنبرز الفرق بين اخلاقية الاسلام وما
اغرقت هذه الفلسفة فيه شبابنا من احوال واقذار ..

ان الاسلام الذي حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن،
وجعل التظاهر بالمعصية زيادة في اثمها، والمخالفة الصغيرة
تصير كبيرة بالاصرار عليها، انما هدفه ان يبني مجتمعا نقيّا،
شعاره الطهارة، وعدم الاثارة، ولذلك امر النساء بعدم ابداء
زينتهن الا لمحارمهن، والرجال بغض ابصارهم وحفظ فروجهم،
وسمى الخمر أم الخبائث، والقمار رجسا من عمل الشيطان ،

وتوعد على ارتكاب هذه الموبقات بظهور الاوجاع والامراض
المادية والمعنوية التي لم تكن في المجتمع الاسلامى من قبل ،
وها هى قد ظهرت بالفعل، ووضعت المسلمين امام اختيارهم،
فهل يختارون الاسلام من جديد، ام ينقادون فى حبل هذه
المذاهب المعاصرة ؟

تفتح الإسلام على الأفكار النافعة

ربما يخطر بالبال، وقد رأينا معارضة الاسلام لهذه المذاهب، انه دين منغلق فى وجه الافكار النافعة، غير قابل للتطور الذى يواجهه الانسانى فى الحياة العامة يوما بعد يوم، مع اننا نقول انه نظام ومنهج للحياة بجانب كونه عقيدة وشعائر تعبدية، وأى نظام أو منهج للحياة لا يتأثر بما يجد من أحوال ويحدث من امور ؟..

ولتبيد هذا الخاطر نبين اولا: انه لا يلزم من معارضة الاسلام للمذاهب المذكورة انه دين منغلق، فليست هذه المذاهب هى كل الافكار الانسانى والمناهج الحياتية حتى تكون معارضتها معارضة للتطور وسدا للباب فى وجه التجدد والانفتاح. ولو قلنا بهذا رأى للزم تلك المذاهب من باب اولى واخرى، لا سيما وفيها ما لا يقبل وجودا لغيره معه، وما فرض بالقوة على الناس، وحيل بينهم وبين الاتصال بمن لا يخضعون له، حتى اصبح من المألوف القول بان اتباعه يعيشون من وراء الستار الحديدى .

وثانيا : ان من اكبر الادلة على بطلان الانغلاق المزعوم،
تلاقى الاسلام وهذه المذاهب ذاتها فى بعض النظريات
والتشريعات، حتى ادعى كثير من المفتونين بها انها والاسلام
سواء، فصاروا يصفون الاسلام بالديموقراطية او الاشتراكية
مثلا على حسب ما المعنا اليه فيما سبق، فهل يجب ان يذوب
الاسلام فى هذه المذاهب ويقبلها بِعُجْرَها وبُجْرَها ليكون غير
منغلق ومتجددا ومتطورا ؟ وماذا يبقى منه اذن ليكون منهجا
مستقلا ونظاما قائما بذاته مثل باقى المناهج والانظمة الاخرى؟
وفوق هذا وذاك فقد علمنا ان الاسلام عقيدة وشرعة ،
والعقيدة تشمل الشعائر التعبدية ، والشرعة تشمل قواعد
السلوك والاخلاق.

ونبادر فنقول ان العقيدة فى الاسلام لا يعترىها تبديل
ولا تغيير، فهى جاءت لانقاذ البشر مما كانوا يتخبطون فيه من
ظلمات الشرك والالحاد، وتصحيح الاخطاء التى وقع فيها اتباع
الديانات السماوية قبلها، بسوء الفهم او التاويل الذى يخضع
للمصالح الشخصية، فهل يراد من الاسلام ليكون غير منغلق

ان يرجع فى حافرة الجاهلية الاولى، فيعدد الآلهة وينبذ التوحيد؟ او يراد منه ان ينكر الخالق عز وجل والوحى الى الانبياء والرسل والبعث والحساب والجنة والنار؟ وهل التطور المطلوب منه هو ان يضع حدا للشعائر التعبدية، فيلغى الصلاة والصيام والحج، أو يقتصر على صلاة واحدة فى يوم من ايام الاسبوع كالجمعة مثلا، على غرار ما فعل النصارى من اقتصارهم على صلاة يوم الاحد، ويقتصر كذلك على صيام يوم واحد فى السنة بدل شهر رمضان، أو يجعل الصيام امساكا عن الاطعمة خاصة لا يشمل الشرب والتدخين وبعض الاكلات الخفيفة كما جعله بعض اتباع الاديان الاخرى ؟

ان الاسلام فى هذا الباب حقيقة لا يقبل التطور ، ولا يمكن ان يقبله ، والا فقد روجه وخصائصه المميزة له ، بصفته رسالة الهية الى البشر وءاخر الاديان السماوية التى تهديهم الصراط المستقيم .. وهو اذا كان دينا حقا قامت الادلة على صحته عقلا ونقلا، فان قبول بعض احكامه دون بعض، يعد رفضا لها جميعا، وتغيير ما اتى به من عقائد وشعائر

تعبدية يكونوا كفرا وليس تطورا، لان الله عز وجل لا يتطور،
فيكون في زمن ما، الها واحدا قادرا مريدا عالما ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير، ثم يكون في زمن آخر ثالث ثلاثة
او ما الى ذلك من العقائد الباطلة، كما ان اوامره الصريحة
الواضحة لا تقبل التأويل والتحوير فالصلوات خمس كما فرضت
وصلاها النبي (ص) والصحابة وجميع الامة والصيام شهر
كامل هو رمضان من الشهور القمرية، وعلى الصفة التي صامه
بها السلف الصالح والرسول الذي بلغنا اياه عن الله، فمن
بدل في ذلك او غير ، فهو يحدث من تلقاء نفسه ديناً آخر
غير الاسلام (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه).

واما الشريعة فمنها اصول وفروع، ومنها ما يتعلق
بالاحكام العملية وما يتعلق بالسلوك والمجتمع . . فالاصول
لا تبدل فيها ولا تغيير، والاحكام ما كان نصاً ظاهراً لا غموض
فيه كتحریم المعاملة بالربا وشرب الخمر ونحو ذلك، فهذا لا
يتغير اليوم ولا غداً، وتغييره تغيير لشرع الاسلام وايمان
ببعض الكتاب وكفر ببعض ، والفروع ونريد بها الاحكام

الاجتهادية،، هذه ان لم تكن اجماعا، فانها تقبل التغيير وتتطور بحسب الزمان والمكان ، وتفتح قواعد الاسلام صدرها لكل ما جد او حدث فيها، فتضع له الحكم الذى يتطلبه مراعية فى ذلك سماحة الدين ونفى الحرج عن الامة.

ولعلنا بهذه النظرة السريعة التى القيناها على العقيدة والشريعة فى الاسلام، وهما لب الدين وجوهره، قد بينا ان الدين الحنيف ليس ديناً مغلقاً ولا عدواً للتطور، كيف وهو قد قرر مجازاة العادات والاعراف فى احكامه عن طريق الاجتهاد والقضاء، وذلك نهاية التفتح ورعاية المصالح العامة فى التشريع الذى يعد من صميم الدين .

بقيت معنا العلوم والفنون والصنائع والتقنية (I) الحديثة وسائر الافكار النافعة، وهذه لا قائل بان الاسلام يعارضها ، وموقفه منها امس واليوم معروف، فقد احتضن المسلمون فى عصورهم الاولى علوم يونان وفارس والهند وثقافتها وفنونها، ونقل منها الى اللغة العربية كل مفيد نافع ، وهذبها و اضاف

(I) التقنية تعريب التكنولوجيا .

اليها ما قام علماء الاسلام باستكشافه من الاراء والنظريات
سواء فى علوم الطبيعة او الكيمياء او الطب او الرياضيات،
ناهيك بما احدثوه فى علم الجبر من قواعد واصول حتى
اعتبروا هم الواضعين له، وحمل اسمه العربى فهو يعرف به
فى جميع اللغات، وقيل مثل ذلك فى الفلك والجغرافية والهندسة،
وحسبك ان معظم الكواكب والنجوم انما تعرف فى سائر اللغات
باسمائها العربية .

وقد نشأ عن هذا التفتح على دنيا العلوم والافكار الجديدة
فى البلاد الاسلامية، نهضة علمية وحضارة اسلامية لم يعرف
لها التاريخ مثيلا فيما قبل . وكانت هى السبب فى يقظة اروبا
واطلاعها على عالم الفكر والتجارب العلمية وقيام الحضارة الغربية
السائدة الآن . وذلك بالاحتكاك الذى حصل بين الاروبيين
والمسلمين فى الشرق ايام الحروب الصليبية، وفى المغرب
باسبانيا وصقلية اللتين كانتا على عهد الحكم الاسلامى منارتين
عالميتين تشعان بانوار المعرفة والحضارة والتقدم والعمران .
ان الاسلام منذ ايامه الاولى لم يوصد الباب فى وجه

الافكار النافعة، فقد ثبت ان النبی (ص) كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء، وانه لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، ويقولون هو يوم نجى الله فيه نبيه موسى من فرعون فقال نحن احق بموسى منكم، وصامه وامر بصيامه. ولما هاجمت الاحزاب المدينة، حفر الخندق حولها باشارة من سلمان الفارسي ولم تكن العرب تعرفه قبل ذلك .

ومن الثابت انه لما اخترع النور الكهربائي كان المسلمون اسرع الى الانتفاع به وادخله الى المساجد، في حين بقى كثير من رجال الكنيسة متعصبين ضده ولم يقبلوا ادخاله الى الكنائس كانه رجس من عمل الشيطان .

فها نحن اولاً، نرى ان الاسلام ليس ضد الافكار النافعة كما يتوهم بل هو يرحب بكل ما فيه فائدة ومصلحة للعموم ، ويتفتح على جميع النظريات والآراء الجديدة، بشرط ان لا يكون فيها هدم لقواعده واصوله، ولا نظن ان هناك مذهباً من المذاهب فضلاً عن دين كبير كالاسلام لا يشترط هذا الشرط في تعاطفه مع اي فكرة او نظام .

قوة الاسلام نابعة من اصالتِه وريادته

لقد جرب المسلمون كل المذاهب والنظم في نهضتهم الحديثه، اعتقادا منهم او مجرد ظن، بانها اساس تقدم الغرب ورقيه، كما اشرنا الى ذلك من قبل، ولكنها لم تغن عنهم شيئا، بل عرقلت نهضتهم وفرقت كلمتهم، وذلك ما جعل بعض مفكريهم يولون وجههم شطر الاسلام ويدعون الى نبذ كل ماعداه .

والواقع ان في العالم الاسلامي اليوم مدا كبيرا وقوة شعبية هائلة تقول بالرجوع الى الاسلام من جديد، ولا ادل على ذلك من مقاومة التجربة الشيوعية في اندونيسيا، وردود الفعل العنيفة التي ظهرت في تركيا ضد العلمانية كما يقولون او اللادينية بالتعبير الواضح، وتركيا على ما هو معلوم هي التي فصلت الدين عن الدولة قبل كل بلد اسلامي وبها اقتدى الجميع. ان هذا الواقع ان دل على شيء، فانما يدل على ان الاسلام قوة لا تقهر، وان كل المخططات التي وضعت للقضاء عليه ، وبعضها مما وكل تنفيذه الى ابنائه. والبعض الآخر مما تولى تنفيذه خصومه واعدائه، تارة بالقوة والتحكم وتارة بالسياسة واللين، قد ذهبت ادراج الرياح، وظهر خبيثها للعيان .

فقد كانت مناهضة الاسلام كعقيدة وشريعة ونظام هي
الظاهرة البارزة فى كل ما يقال ويكتب، اثر الانقلاب التركى،
فى الثلاثينات وبعض الاربعينات ، من عقود القرن العشرين
الميلادى ، ونادرا ما كان يبرز مقال او كتاب فى الذود عن
الاسلام ورد المفتريات عليه، وكان المسلم الغيور يطالع واجهات
المكتبات العمومية فقلما يقع بصره على كتاب او رسالة صغيرة
فى موضوع اسلامى من الانتاج الجديد. ولكننا الآن، نكاد لا
نرى فى واجهات المكتبات الا كتب اسلامية جديدة تتناول
مختلف المواضيع العقائدية والتشريعية والاخلاقية من وجهة
نظر الاسلام، باقلام قادة الفكر واساتذة الجامعات فى العالم
الاسلامى .. هذا فى الناحية النظرية ، وفى الميدان العملى
كان استقلال الجزائر وتخلصها من براثن الاستعمار العسكرى
والسياسى والفكرى بعد قرن وثلث، وعودتها الى حظيرة العالم
الاسلامى تبنى وتنشئ وتسهم فى دعم نهضته الكبرى، حدثا
تاريخيا عظيما اثبت للملاحظين ان الاسلام لم ينهزم، وانه برغم
ما توالى عليه من الضربات الشديدة، لم يزل يحتفظ بتلك

القوة الهائلة التي قهر بها الصليبيين والتتار، وأخيرا المستعمرين
الجبابرة من دول الغرب المسيحي .

فمن اين تنبع قوة الاسلام هذه التي تحدت كل القوات
المعادية لها، من مادية ومعنوية ؟

ان الاسلام دين الله الذي ارتضاه للبشر، واوحاه الى
انبياءه ورسله، من لدن ابراهيم عليه السلام الى محمد (ص)،
وهو بهذه الصفة وحدها حريّ ان يتغلب على كل معارضة،
ويقاوم التحديات من اى نوع، لان قوته مستمدة من خالق
القوى والقدر، الذي يعلم مصالح العباد، ويدلهم على ما هو خير
لهم بالذات، (الا يعلم من خلق؟) فمهما فكر الانسان وقدر لا
يدرك مصلحته الحقيقية ولا يهتدى الى ما يحققها له كما هداه.
الله، ولكن حيث اننا فى مقام الاحتجاج والتوعية، فان الاستشهاد
بالغيبات لا يكفى، فلننظر فى الجواب من وجه آخر .

نعم لقد جاء الاسلام والعالم الاسلامى يدين بهذه الاديان
المعروفة، من سماوية فى اصلها كاليهودية والنصرانية وارضية
وضعية كالزرادشتية والبوذية، فدخل موطنها، ونازلها فى

معاقلها، فلم يكن له معها الا جولة او جولتان حتى القت اليه بالمقاليد، وانقلب اهل الشام ومصر ، وهما مهبطا الديانتين الاوليين، مُسلمين طائعين، عن طريق الاختيار والاقتناع ، من غير ضغط ولا اكراه. وكذلك كان الحال بالنسبة الى اهل فارس والهند، والاولى، وهى موطن الزرادشتية، اسلمت على بكرة ابيها، والثانية، وهى معقل البوذية، اسلم فيها عشرات الملايين، وكل ذلك انما كان بصدق الدعوة وحسن القدوة، اذ ليس من المعقول ولا المقبول ان تتحول شعوب بكاملها من عقيدتها الموروثة عن اباائها الى عقيدة جديدة بالحرب والقتال، لا سيما اذا كانت هذه العقيدة فيما يرى القوم آتية من شعب بدائى لا ماضى له فى العلم والحضارة، على العكس من تلك الشعوب العريقة فى التمدن والعرفان .

والتاريخ يشهد ان المسلمين فى فتوحهم الحربية، ما كانوا يكرهون احدا على اعتناق دينهم، وانما كانوا يقبلون من اهل البلاد المفتوحة ما داموا على دينهم ان يعطوا الجزية. ثم يمضوا لحال سبيلهم مبلغين رسالتهم الى من وراءهم من الناس، كأنهم

انما يُعذرون لانفسهم فى القيام بالدعوة الى الله وعدم كتمان
ما انزل اليهم، لكن الذى كان يقع، هو ان اهل تلك البلاد حين
يرون ما عليه المسلمون من من جد واستقامة، ويسمعون
القرءان ويعون دعوته، يعرفون الحق وينقادون له، وينفضون
يدهم مما بها من باطل وضلال .

وهكذا عرف اليهود والنصارى ان الاسلام جاء مجددا
لدين الله الذى اوحى به الى موسى وعيسى، ومصححا لاطياء
الاحبار والرهبان الذين حرفوا كلمات الله عن مواضعها ،
واولوها التاويلات الباطلة التى اوقعتهم فى الشرك والكفر
وتعطيل احكام الله، وانه لا يمكن ان يكون الا وحيا جديدا،
والا فمن أين للعرب الاميين هذه المعرفة العميقة باصل الدين
وعقيدة التوحيد وشريعة الانبياء الصادقين؟ ولذلك سرعان ما
دخلوا فى الاسلام افواجا، ولم يمض على بلاد الشام ومصر وغيرها
بضعة عقود من السنين، حتى اصبحت بلاد اسلام ليس بها من
اتباع اليهودية والنصرانية الا عدد قليل، لا معنى لبقائه، لو
كان ما قيل من انتشار الاسلام بالسيف حقا .

ومثل هذا يقال في اصحاب الديانات الوضعية، بل انهم
اخرى بالطاعة والانقياد من اهل الديانات السماوية، لان هؤلاء
يستندون الى ما يستند اليه الاسلام نفسه من الوحي والتنزيل،
فربما منعتهم هذه الشبهة من ترك دينهم .

ومؤدى هذا الكلام هو ان قوة الاسلام نابعة من هذه
الاصالة التي عرفها اهل الكتاب السابقون قبل غيرهم، ولم
يسعهم الا أن يقرأوا بها ويخضعوا لها، مومنين بانها الحق
الذى لا معدل عنه، والصراط المستقيم الذى يهدى الى الرشـد
والفلاح. ولقد عبر النبي (ص) عن هذا المعنى تعبيراً واضح
الدلالة حين رأى عمر بن الخطاب وبيده صفحة من التوراة
يقرأها، فانكر عليه، وقال: ألم تأتكم بها بيهضاء نقية؟ والله لو
كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى .

ومن هنا يُعلم انه لا أضل ممن يزعمون ان النبي (ص)
كان يتلقى المعلومات الدينية من احبار اليهود، وانه فى رحلته
الى الشام لقي بعض الرهبان فتعلم منهم ما جعله يدعى النبوة
ويعلمى القراءان، فليت شعري اكانت عقيدة التوحيد التى لبث

النبي (ص) يدعو لها ويبشر بها طوال مدة بعثته، مما تعلمه من الرهبان، وهم الكافرون باعتقاد التثليث كما جاء في القرآن (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد) ؟

وهل ما تزرى به التوراة على انبياء الله ورسله، وما تصف به البارى عز وجل من الاعراض البشرية، كان من المعلومات التى تلقاها النبي (ص) عن احبار اليهود، والقرءان والسنة طافحان بتنزيهه تعالى عما لا يليق به ومخالفته للحوادث (ليس كمثله شئ) وبتبرئة الرسل والانبياء مما اتهمهم به اليهود فى التوراة المفتعلة، واضفاء حلل الاحترام والتكريم عليهم (اولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) . .

ولا نطيل فى هذا المعنى ، فالاسلام ما جاء الا لتصحيح الوضع الدينى فى اليهودية والنصرانية، وردة الى اصله الذى كان عليه فى دعوة ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام (ملة ابيكم ابيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين) فكيف يكون ماخوذا منهما، والقرءان يقول (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما) ؟

وقبل ابراهيم كان الدين الصحيح هو عقيدة التوحيد
وما شرعه الله للعباد كما تشعر به الآية الكريمة (شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا، والذي اوحينا اليك، وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)
فالخلاف انما هو فى الاسم فقط، واما الجوهر فهو هو منذ بدء
التنزيل والوحى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا) .

من هذه الإصالة تنبع قوة الاسلام كدين لا يقاوم، لتأييده
بالمنطق والبرهان، حتى ان كبار الفلاسفة الذين نشأوا فى
ظله، لم يجدوا اى تناقض بين عقيدته وحقائق الفلسفة العقلية،
بل ان احدهم وهو ابن رشد الف كتب فى توافق الدين والفلسفة
منها كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال،
وناهيك به ! . . .

وتنبع قوة الاسلام أيضا من ريادته كمنهج كامل للحياة،
فى ميدان الحكم والتشريع والاقتصاد، على ما المعنا لبعضه،
فى المقارنات التى عقدناها فيما سبق، بينه وبين اقوى المذاهب

المعاصرة واكثرها سيطرة على الافراد والجماعات ،، وما حققناه
فى الفصل قبل هذا من تفتحه وقبوله لكل الافكار النافعة ،
ولجميع ما يجدّ فى عالم الفنون والعلوم من النظريات والآراء .
على ان اكمل ما تتمثل فيه ريادة الاسلام هو سبقه الى
سن التشريعات التقدمية التى بقيت الانسانية تتعثر فى
خطوها نحوها قرونا عديدة، برغم العلم والفلسفة، فلم تهتد
الى بعضها الا مؤخرا ، وفى القرن العشرين، الذى يسمونه
عصر النور، وشد ما كانت دهشة كثير من المفكرين والمشرعين
والفلاسفة الاجتماعيين، حين وجدوا انفسهم وجها لوجه امام
الاسلام السباق الى الحلول الايجابية لمشاكل المجتمع
الانسانى، والرائد الذى صدق اهله واخلص لهم النصيح فى
كل ما قدمه لهم من شرائع مُحَقَّقة لصالحهم، مُزِيحة لعللهم،
تجعل من مجتمعهم كيانا صحيحا سليما فمتنعيا على
المفاسد والمضار .

ونذكر على سبيل المثال التشريع المتعلق بالمرأة الذى
اعطاها من الحقوق ما جعلها تقف على قدم المساواة مع الرجل،

فى حين كانت معظم الشعوب والامم لا تعترف حتى بانسايتها،
وغبرت على ذلك الى عصر النهضة الاروبية التى انما استفادت
من تعاليم الاسلام فى هذا الصدد .

وكذلك مبدأ مساواة الاجناس البشرية بعضها لبعض
وعدم تميز جنس منها عن آخر باصله او لونه او غير ذلك،
مما نادى به الاسلام اول ما ظهر، وطبقه فعلا على العبيد
والاحرار والمماليك والسادة، وكان احد الاسباب التى جعلت
صناديد الكفر والملا من قريش تحارب دعوته، ومع ذلك لم
بشن العنان ولا تراجع حتى اقره واصبح حقيقة مسلما بها فى
شرعه، وفى مجتمعاته المتعاقبة والمتساكنة بمختلف الازمنة
والامكنة، وما هى ذى كثير من الدول الراقية ما زالت لم
تحقق العمل بهذا المبدأ وما يزال التمييز العنصرى يفرق بين
ابنائها ويثير فيها مشاكل لا وجود لها اطلاقا فى بلاد الاسلام.
ومن ذلك مسألة تحريم الخمر وسائر المخدرات، فان ما
تعانيه الانسانية من ويلات تعاطيها، قد فتحت العيون على صواب
التشريع الاسلامى، وقامت فى جميع انحاء العالم جمعيات عديدة

تدعو الى منع انتاجها وتداولها وجعلت بعض الاحزاب السياسية الكبرى فى امريكا وغيرها، منع بيع الخمر من بنود برنامجها السياسى الذى تلتزم بتطبيقه عند توليها الحكم . والاسلام قد سبق لهذا المنع قبل اربعة عشر قرنا، فيا لها من ريادة صالحة وقيادة رشيدة ! .

ومن اعظم ريادات الاسلام تحريم الربا تحريما باتا بجميع انواعه، من فائدة وقمار ويانصيب وغيرها.. وهو التشريع الذى حرر الاقتصاد الاسلامى من قبضة الرأسمالية الطاغية وتحكمها الجائر، وبقي المجتمع الاسلامى بفضلله يمارس نظاما ماليا نظيفا لم يعرف شيئا من استغلال الضعف والحاجة عند المضطرين والملاجئين، وكان القرض التعاونى الاحسانى هو السائد بين المسلمين، حتى هاجمتهم المدنية الأوروبية بادوائها وشرورها وانشئت المصارف المالية فى بلادهم، وقامت الدعاية المفرضة بالترويج لها زاعمة ان الاقتصاد لا يزدهر الا بمعاملة هذه المصارف، وزلّ بعض الفقهاء فافتى بجواز المعاملات الربوية او بعض الصور منها عند الاضطرار، فجاءت النظم الاشتراكية

التي الفت المعاملة بالربا في بلادها لتكذبهم، وتثبت ان ازدهار الاقتصاد ليس نتيجة المعاملات المصرفية المبنية على الفائدة، وزكت حكم الاسلام وايدت نظره في تحريم الربا وابطال التعامل به، وحق القول الشائع: ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام ليسوا منه. ومن المؤسف ان يتخبط المسلمون هذا التخبط، ويغفلوا عن محاسن دينهم حتى ياتى الاجانب فيعرفوهم بها .

والخلاصة ان هذا الاسلام الرائد المجرد من كل تبعية وتقليد، هو مصدر قوة المسلمين وعظمتهم، وبه ادركوا ما ادركوا من عز ومنعة وسلطان في الماضي، وبه يدركون ما يصبون اليه من مجد وتقدم ورقى في الحاضر، فمتى يعودون اليه، ويقصرون نظرهم عليه، وينعمون به بالا، ويقرون عينا، ويحملون رسالته كما امروا، وكما يحمل اصحاب هذه المذاهب المختلفة رسالتها بالايمان بها والعمل عليها، والدعوة لها الى حد التجرؤ عليهم ومحاولة استتباعهم، وهم الذين امرهم دينهم ان يكونوا يدا على من سواهم وشهداء على الناس، ليكون الرسول عليهم شهيدا؟! ..

(يا ايها الذين ءامنوا استجبوا لله وللرسول اذا
دعاكم لما يحبيكم) .

(يا ايها الذين ءامنوا اجيبوا داعى الله وءامنوا به
يفغر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) .

قہرستان

صفحة

٥	مقدمة
٩	هل اصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية ؟
								وهذه الحزب الصليبية التي يشنها الغرب على الاسلام ،
٢١	ما دلالتها ؟
٣٥	الاسلام أتى بكل المقومات الذاتية للشعوب
٤٨	الاسلام والقوميات
٥٩	الاسلام والمذاهب المعاصرة
٦٩	الديموقراطية
٧٤	الاشتراكية
٨٢	الرأسمالية
٨٦	الوجودية
٩٢	تفتح الاسلام على الافكار النافعة
٩٩	قوة الاسلام نابغة من اصلته وريادته